

إضاءات على مواضع في

الحجر

د. فضل بن عمار العماري

إضاءات على مواضع في الأحساء

المؤلف
د. فضل بن عمار العماري

المجلة العربية

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض، طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)، شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345.4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432 | المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com



ح

المجلة العربية، 1442هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العماري، فضل بن عمار

إضاءات على بعض المواضع في الأحساء. / فضل بن عمار العماري. - الرياض،

1442هـ

136 ص؛ 21×14 سم. - (كتاب المجلة العربية : 539)

ردمك: 2-11-8320-603-978

1 - الأحساء (السعودية) - جغرافيا 2 - الأسماء الجغرافية - السعودية

أ.العنوان ب.السلسلة

ديوي 3133, 915 7735 / 1442

رقم الإيداع: 7735 / 1442

ردمك: 2-11-8320-603-978

المحتويات

7	 المقدمة
13	 الأحساء
14	 البحرين
29	 حوار
43	 سماهيج
54	 الشبعان (جبل قارة)
67	 عنين (عين أم سبعة)
83	 المشقر / (المبرز)
114	 هجر
130	 الخاتمة
131	 المصادر والمراجع

المقدمة

قامت الجغرافيا الأدبية القديمة في كثير من أدبياتها على الشعر، كأن يُستلَّ موضعُ جاء في بيت ما، ثم يبحَث العلماء عنه فيما بين أيديهم من مرويات، وتختلط هنا المعلومات ببعضها بعضاً، حتى يأتي من يأتي، فيفرز هذا عن ذاك. وهكذا، فعل المعاصرون، فراحوا يبحَثون في الموضوع، ويحاولون توجيهه إلى المكان الذي يتصوِّرون أنه فيه، فصار شبه إجماع على أن بعضاً مما سيأتي في هذه الدراسة هو في الأحساء.

إن منطقة البحث هنا هي محافظة الأحساء التي تشكّل الجزء الأكبر من منطقة البحرين القديمة التي تضمّ (أوال) (البحرين الحديثة)، وكانت (هجر) عاصمتها، ومدار الحديث عنها، وما عدا البحرين الحديثة فهي الآن جزء من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. لقد سهّل هذا التحديد الضيق العمل في هذه المحافظة، بدلاً من التشعب والتشتت، بيد أن المعطيات الأدبية للمواضع في هذه المحافظة لم تكن بالقدر المتوقع منها، إذ ظلّ العلماء المعاصرون مقيدّين بما أدلى به الأولون من معارف، حتى ثبتت تلك المعارف، فأصبحت مقرّرة، كأنها هي الحقيقة.

ولهذا، توجّه البحث إلى تلك المعطيات قديمة وحديثة، فرأى أن ما كان مجمّعاً على صوابه قد جانبه الصواب، وراح يستحضر وسائل الإقناع كلها من أجل إعادة ترتيب المسائل، لتظهر الحقيقة على غير ما كان مقرّراً، وليبدو الوضع غير ما كان عليه.

وفي ضوء هذه الدراسة، فإن ما هو شائع ذائع بين الدارسين من نسبة الحارث بن حلزة اليشكري وقبيلته ضبيعة إلى البحرين، اعتماداً على قوله:

إذ رفعنا الجمال من سَعَفِ البَحْرِ

رين حتى نهاها الحِساء

أي: أن قبيلة يشكر كانت تسكن البحرين، ومنها انطلقت غزواتها ليس صواباً، وإنما هو يشير إلى قدومهم من جنوب شرق الرياض، حيث كان مقامهم، مروراً بالأحساء، والأمر واضح لا غموض فيه، فعن أيّ (أحساء) يتحدث، إن لم يقصد (الأحساء): منابع المياه على الخليج، حسبما فهمه الأنباري في قوله:

«يُخبر عن (مغازيهم)، أي: قد أغرنا على من لقينا من الناس، حتى انتهينا إلى النخل... ثم مضينا نغير، وننتهب حتى انتهينا إلى الحساء؛ ومعنى (نهاها) الحساء: كفّها وحبسها: معناه بلغنا الحساء؛ والحساء: جمع حسي البحر، والحسي: الماء الجاري. يقول: فلما بلغنا الحساء، لم يكن وراءها مزار». وأي دليل أبلغ من تعيينه: «الحساء: جمع حسي البحر»؟ ولم تُذكر قط منازل يشكر في عموم منطقة البحرين، ومنها (هجر)، بل من الثابت أنها منازل عبد القيس في الجاهلية، عصر الحارث بن حلزة، يقول الحارث نفسه:

وقد نلنا لعبد القيس سبياً

من البحرين يُقتسم اقتساماً

أي: أن عبد القيس -أهل هجر- واجهوا قوة غالبية قادمة من الخارج، فهم ليسوا جيرانهم فيها أبداً، وقد أحدثوا فيهم ذلك الحدث القاهر «نلنا لعبد القيس سبياً»، وهو يحدد هذا بالبحرين نفسها، كما أوضح سابقاً. ولقد ظلت البحرين عامة منسوبة إلى عبد القيس خاصة حتى أوّل الإسلام. ومن الغريب جداً أن تسمية الأحساء لم تكن معروفة في تلك الفترة، وإنما أتت التسمية مؤخراً وفق ما عبّر عنه الحارث بن حلزة، وكان الغالب عليها اسم (البحرين).

كان هذا إشكالاً استدعى إعادة النظر فيه، كما أن الإشكال الآخر، والذي لا

يقول غرابة -أو إن شئنا غموضاً- عن الأول في سيرورته، بل فيما تتناقله كتب الأدب والتاريخ والمراجع العلمية الحديثة، هو ما وافق تفسير قول كثير عزة:

كُدْهِم الرُّكَّابَ بِأَثْقَالِهَا

غَدَتِ مِنْ سَمَاهِيحٍ أَوْ مِنْ جَوَاشِي

فكلها تجمع على أن هذا القول في (سماهيح) -قرية بالبحرّ، بالبحرين الآن، وكانت تحمل الاسم كله- وهو ما لا يقبله عقل ولا منطق، فبين (سماهيح) في ذلك الزمان وبين جزيرة (أوال) فاصل بحريّ عميق، لا يمكن للإبل أن تجتازه، ثم تعبر من (أوال) إلى ميناء (العقير)، ميناء الأحساء. كانت هذه صورة مخزونة في الذاكرة الجماعية للشعراء، عن مكان ما في الأحساء، بلد تصدير التمور، إذ لا تصدير للتمر من البحرين، يدلّ عليه ذكر (جواشي)، وبينما ظلت هذه الأخيرة قرية لشهرتها بمسجدها التاريخي مسجد (جواشي)، تلاشت تلك من الذاكرة، وحلّت محلّها تلك المعروفة إلى الآن؛ لأن لها قديماً مركزاً نصرانياً مرموقاً. وأغرب ما في الأمر أن زجت المعارف (عبد القيس) بـ(سماهيح) تلك التي بالبحرين، في الجاهلية، ولم تكن عبد القيس تستوطنها حتى فترة متأخرة قط، وإنما اقتصرّت على القساوسة والرهبان، فكلها -أي: ما تضمّن من أنحائها- لا يخرج عن تلك الملكية النصرانية. وكذلك كانت بكر بن وائل بعيدة حتى عن الأحساء نفسها قبل الإسلام.

إذا انتقلنا إلى موضع آخر أحدث بليلة في الدراسات، ألا وهو (حوار)، فلو نظرنا في كل الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع، فإننا سنجدّها تحصر الحديث في جزيرة (حوار) التابعة لمملكة البحرين الآن، بينما الحقيقة -كما تبدو- غير ذلك تماماً، وما هذا إلا؛ لأنّ الذهن ينصرف تلقائياً إلى أقرب

ما يَعلق به، فتغيب الحقيقة في خِصَمِّ تشابه الأسماء، وتجاوز المسمّيات، إضافة إلى ما يحيط بالاسم من التباسات نتيجة التصحيف والتحريف، ف(حوار) هذه لم تكن يوماً ما -وإلى عهد قريب جداً- ذات شأن، لا في التاريخ، ولا في الأدب، ولولا أن ياقوتاً ذكرها، لظلت مهمة؛ إذ إن (حوار)، وتصحف إلى (جَيَّار)، وجاء مثني (حوارين)، فاختلط بـ(حرّان)، لم تكن إلا في قلب الأحساء (هجر)، وفيها كانت الخصومة والنزاع والذكر، وشاءت الأزمان أن ينطمس اسمها، كما ينطمس كثير من الأسماء، فلا يُدرى أين هو، في حين أن الأدلة والقرائن كلها تشير إليه وحده، وفيه جاء الشعر، وعنه تتحدّث الأخبار، فحاله حال (سماهيح) الأنفة الذكر.

ولن نستبق الأمور لنتناول في هذه المقدمة ما جرّ إليه تفسير الشعر من أخطاء ومغالطات، فمجرّد ذكر (الشبعان) في الشعر، يستدعي استحضار جبل (قارة)، ثم يختلط هذا بـ(عماية) بنجد، و(طوّالة) كما وردت في الأشعار. على أن الأمر المثير حقاً، والمدهش حقيقة هو هذا الإجماع المعاصر على أن (الجبيل) هي (عينين)، كما وردت في الشعر، وكما تذكرها المعاجم الجغرافية؛ وقع هذا من كل العلماء المعاصرين الأجلاء دون استثناء، مع أن الطبيعة الطبوغرافية للجبيل لا تسعف أحداً في استنتاجه أنها هي (عينين) ذاتها، ف(الجبيل) ليست قديماً أو حديثاً، كما قالوا: (قرية كثيرة النخل)، ولا ينطبق عليها يوماً ما ألبتة قول الشاعر:

كَأَنَّ أَظْعَانَهُمْ تُحْدِي مُقَضِّيةً

نَخْلُ بَعَيْنَيْنِ مُلْتَفٍّ مَوَاقِيرَ

وهم غَضُّوا البصرَ عمّا هم بصدده من أمر الشاعر (خليفة عينين) الذي يروونه من أهل (الجبيل)، بينما قال القدماء: «خليفة عينين، من أهل هجر»،

أو قولهم: «عين هَجَر، بلد خُليد عَينين، الشاعر». ووضع (عينين) وضع خاصَّ جداً؛ لأنه صادف وجود جماعة (البوعينين) فيها، وتعدُّ الأمر بوجود عينيِّ ماء بها، فصارت التثنية مدعاة لربط الموضع بالجماعة، ولاسيما أنهم راحوا ينسبون خُليداً إليهم. وكل ذلك مخالف للواقع والمعطيات، فهذه الجماعة حديثة الإقامة بالجبل، جاؤوها فيما بين (1327هـ - 1340هـ). ولم تذكر المصادر القديمة أبداً وضعاً للجبل يخرج (عينين) عن الأحساء. ولنعد الآن ما يتصل بـ (عينين) من ذكر (المشقر) و(الصفاء)، و(محلّم) لنصادفه في موضعه.

هذه، إذن، بعض إشكاليات الأدب الجغرافي القديم، وما جرَّ إليه من تفسيرات سيطرت على الكتابات الحديثة، فيما يتعلق بالأحساء خاصة، وفي نطاق ضيق جداً، حتى لا يخرج الموضوع عن حيِّزه المحدّد له، إذ لو توسّعنا في ذلك، لتطلّب العمل إضافات، لا تخدم الهدف الذي جاء من ورائه، ألا وهو إزاحة الغموض عن تلك المواضع بالذات؛ لأنها أصبحت مقررة على أنها كذلك، بينما هي غير ذلك تماماً؛ ولأننا إنما نعالج مواضع في الأحساء المعروفة الآن، بينما كانت (هجر) قصبة البحرين القديمة كلها.

وإذن، فإن تحليلاً كهذا، واستدراكاً كهذا، سيسهم في إعادة النظر في هذه القضايا التي هي في الأصل أدبية مما سبّب كثيراً من الإشكالات العلمية لتداخل الأدبي بالعلمي (الجغرافي)، وهي ليست واحدة، بل متعددة، وإن كانت محصورة بالشعر القديم حتى إنه لا يتناول فترة متأخرة مثل فترة العيونيين ومن جاء بعدهم، وهو ما شغل علماء الجغرافيا الأدبية قديماً، وسار على خطاهم المعاصرون.

وعلى كل حال، فإنه من المعلوم أن مشاركة حمد الجاسر بقوة في هذا المجال أفاد البحث العلمي كثيراً بما قدّم من آراء، إلا أنه في الوقت نفسه

أغلق الأبواب على سواه، لما يحظى به من اعتبار وتقدير، وهو ما يستحقه، ويحتفظ به له، إلا أنه في الوقت نفسه كان جديراً بنا أن نمضي قدماً في متابعة جهوده لنضيف له ما يمكن إضافته، أو أن نعدل من مسار البحث، وهذا ما هو مأمول هنا.

د. فضل بن عمار العماري

قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

1442هـ / 2021م

الأحساء

يقول الحارث بن حلزة:

إذ ركبنا من سَعَف البحريـ

من سيرا حتى نهاها الحساء

ولقد اضطرب ابن بليهد، فقال:

«أما الحساء الذكر الحارث، فهو - بكسر الحاء - وهو غير الحساء في نواحي هجر، وهذا الاسم إذا فُتح حاؤه، يُطْلَق على جميع... قُرَى البحرين...»⁽¹⁾ فهو يرى أنه (حسو / حسي عليا)، ولم يقصد الحارث بن حلزة إلا ما جاء في شرح الأنباري على منابع المياه على الساحل المطل على الخليج؛⁽²⁾ إذ لم تكن الأحساء (هجر) معروفة بهذا الاسم، وإنما عُرِفَتْ مؤخرًا.

تسمية الأحساء

وقد ظل اسم هجر علمًا على هذه الأرض، حتى تحول مؤخرًا إلى (الأحساء)، أو (الحسا)؛ قال ابن بطوطة:

«ثم سافرنا... إلى... هجر، وتسمى الآن بـ: الحسا».⁽³⁾

وجاء في أحسن التقاسيم:

الأحساء: قصبة هجر، وتسمى: البحرين، كبيرة، كثيرة النخل، عامرة،

(1) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار (القاهرة: مطب السنة المحمدية، ط2، 1392هـ/1972م) ج1، ص238.

(2) أبوبكر، محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، 1963م) ص471.

(3) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم اللواتي، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، 1405هـ/1985م) ص93 - 94.

أهلة، معدن الحرّ و(القحط).⁽¹⁾

وهنا تصحيف، فهذه الأرض ليست معدن (القحط) ألبتة، بدليل قوله: «كبيرة، كثيرة النخل، عامرة، أهلة»؛ وإنما بها (القيظ)، فهنا تصحيف. وهذا يدلّ على أن اسم (البحرين)، الذي كان يشمل المنطقة كلها تقلّص، لينحصر في (الأحساء) وحدها، ثم تحوّل تدريجياً إلى جزيرة (أوال). كما تقلّص (الأحساء) من منابع المياه على الساحل المقابل لـ(هجر)، ليُطلق على (هجر) نفسها.

البحرين

قال الحارث بن حلّزة اليشكري:

إذ رفعنا الجمال من سَعَفِ البحر

رين حتى نهاها الحساء⁽²⁾

وهنا غموض في قول الحارث بن حلّزة، فلدينا تفسيران لـ(البحرين):

الأول: الذي ذكره الأنباري، وهو:

«يُخبر عن (مغازيهم)، أي: قد أغرنا على من لقينا من الناس، حتى انتهينا إلى النخل... ثم مضينا نغير، وننتهب حتى انتهينا إلى الحساء؛ ومعنى (نهاها) الحساء: كفّها وحبسها: معناه بلغنا الحساء؛ والحساء، جمع حسي البحر، والحسي: الماء الجاري. يقول: فلما بلغنا الحساء، لم يكن وراءها

(1) محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكر عيسى (أبوظبي: دار السويدي للنشر، ط1، 2003م) ص106.

(2) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص471.

مُغار⁽¹⁾.

الثاني: ما جاء في حاشية الزوزني، وهو:

«سارت من البحرين سيراً شديداً إلى أن بلغت هذا الموضع الذي يُعرَف بالحساء»⁽²⁾.

ويرى ابن بليهد رأي حاشية الزوزني، وأن:

(الحساء): هو (حُسو عليا): يصب سيله في وادي الرُّمّة⁽³⁾.

فإذا كان المعنى هو ما قصده الأنباري، تكون (البحرين) هي منطقة البحرين، أغاروا عليها، قادمين من منطقة بعيدة عنها، وكانت (يشكر) تسكن جنوب الحوطة، من اليمامة، بل كانت بكر كلها في نجد، وتكون (الحساء): أطراف الأحساء (هجر) البرية المطلة على البحر. وهذا المعنى يبدو مناسباً جداً؛ فالحارث بن حلزة يتحدث في مطوّله عن أيام وحروب قديمة جداً، عندما كانت القبيلتان: بكر وتغلب، في نجد، قبل رحيلهما عن ديارهما، وتفرّقهما.

وعلى كل حال، فالبحرين، منطقة البحرين في الاستعمال القديم، تشمل جبال كاظمة بالكويت شمالاً حتى حدود أبوظبي، فيما هو معروف الآن -وقديماً- بـ (بينونة)، على امتداد الساحل، وتتسع غرباً حتى وادي المياه، فتدخل فيها (النعيرية)، و(نطاع)، و(ثاج)، وأطراف من الدهناء بينها وبين اليمامة، وأهم مدنها: هجر (الأحساء)، وهي قصبته، وهي الأكثر

(1) المصدر نفسه، ص 471 - 472. وصواب (مغازيهم)، كما جاء في الحاشية عن إحدى المخطوطات، ووافقه المحقق: (مغارهم).

(2) أبو عبيد الله، الحسين بن أحمد الزوزني، شرح القصائد السبع (بيروت: دار الجيل، د - ت) حاشية

ص 226.

(3) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج 1، ص 238.

دوراناً في الشعر، ثم القطيف... ويجدها (بيرين)، ووفق تفسير الأنباري، فالحارث يعني بـ (البحرين): (هجر) تحديداً؛ لأن اتجاه الجيش كان منها إلى الغرب؛ ولأن الحارث يقول بعده:

ثم ملنا على تميم فأحرم

نا وفينا بنات مُرِّ إماء⁽¹⁾

على أن اسم البحرين في الأصل جاءها من عين (معلم) و (عين الجريب).⁽²⁾ ثم اتسع المدلول، ليشمل هذه المنطقة، وتقلص أخيراً، ليصبح علماً على البحرين الحالية، وهذا معنى قول الأخنس بن شهاب الآتي: «لُكِّز لها البحرين»، فـ (البحران) مثلى (بحر)، أي: النهر: (نهر معلم)، و (نهر الجريب)، وقول بعض آل سعد بن ملك يكرب: «وأزد لها البحرين». و (الجريب) هنا جاء محرفاً تحريفاً تاماً عند الهمداني، فالنهر المعروف الذي يشكل ثنائياً، هو (نهر الصفا)، أي: (عين الحارة)، ولم يرد لنهر (الصفا) ذكر عند الهمداني، كما لم يرد ذكر لـ (حصن الصفا)، وهذا دليل على ذلك التحريف الشديد. وقد وقع الهمداني في ذلك نتيجة الخلط بين (الجريب): القرية، كما ذكرها نصر الإسكندري،⁽³⁾ و (نهر الصفا)، فجعل هذه تلك، و (الجريب) هي التي يراها العبد القادر: قرية (الشقيق)، من قرى (المبرز)، على بعد 8 كم من (الهفوف).⁽⁴⁾

(1) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 472.

(2) أبو محمد، الحسن بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ (الرياض: دار اليمامة، 1394هـ/1974م) ص 281.

(3) نقلاً عن حمد الجاسر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط 1، 1399هـ/1979م) ج 1، ص 390. وهو مما سقط من كتاب نصر الإسكندري، كتاب الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: مركز الملك فيصل، ط 1، 1425هـ/2004م). وانظر، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1399هـ/1979م) (الجريب).

(4) محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (الرياض: مط الناشر العربي، 1419هـ/1999م) ج 1، ص 36.

ونقل الجاسر عن نصر أن البحرين سمّيت بذلك من أجل (معلم) والأخرى (قضباء) أو (قضبي)،⁽¹⁾ وهذا أيضاً تحريف كالذي سبق.

إن قول الحارث بن حلزة حسب التفسيرين السابقين: تفسير الزوزني وابن بليهد، فيه تعارض كبير، فإذا كان رأي الأنباري أنهم أغاروا على (البحرين)، أي: (النخل)، كما قال: ينهبوا بها، فإن هذا لا يتوافق مع خط الإغارة على (حسو عليا): جنوب غرب القصيم، جهة الحناكية، والمناسب -كما جاء في شرح القصائد السبع الجاهليات- أنهم انتهوا إلى ساحل البحر.⁽²⁾

وكما وضّح الحارث، فذلك في زمن اضطراب الدولة الفارسية، في عهد الملك فيروز، يقول:

هل علمتم أيام ينتهب الننا

س غواراً لكل حيّ غواء

وعلى الرغم من أن الشرح في الزوزني شرح واضح، في جعل تحرك الجيش من (البحرين) / (هجر)، فإن هذا يتناقض مع منطقة وجود (يشكر) وبكر في الجاهلية، في الزمن الذي سبق حديث الحارث بن حلزة أمام الملك عمرو بن هند، أي: زمن وجودها في اليمامة ونجد. وسوف نرى عامر بن الطفيل -وغيره- يؤكد أن عبد القيس هي التي كانت تسكن البحرين، لا يشار إليها فيها غيرهم في الجاهلية، يقول:

وقد نلنا لعبد القيس سبياً

من البحرين يُقتسم اقتساماً⁽³⁾

(1) حمد الجاسر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1399هـ/1979م) ج1، ص208؛ وانظر، صص205 - 209؛ الإسكندري، كتاب الأمكنة؛ ج1، حاشية ص105. محمد بن موسى الحازكي، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1415هـ) ج1، حاشية ص105. وانظر عن الأحساء، الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، صص120 - 131.

(2) الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، صص470 - 471.

(3) عامر بن الطفيل الغنوي، ديوان عامر بن الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد (بيروت: دار

وقال الأخنس بن شهاب:

لُكِيزَ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلَّهُ

وَإِنْ يَغْشَاهَا بِأَسْ مِنْ الْهِنْدِ كَارِبٌ ⁽¹⁾

وعلى غراره جاء القول المنسوب لبعض آل سعد بن ملك يكرِب:

وَأَزْدٌ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلَّهُ

وَأَرْضُ عُمَانَ بَعْدَ أَرْضِ الْمَشَقَّرِ ⁽²⁾

ويقول لبيد في بيان سكنى (يشكر) -قوم الحارث بن حلزة- في اليمامة آنذاك:

فَاخَرْتَنِي بِإِشْكَرِ بْنِ بَكْرٍ

وَأَهْلَ قُرَّانٍ وَأَهْلَ حَجَرٍ ⁽³⁾

فهذه القبائل كانت مجتمعة باليمامة. والصواب -مثلاً هو منطوق الشعر نفسه، وحسب شرح الأنباري- أن الإغارة كانت على البحرين (هجر) وما والاها؛ ف(يشكر) -على سبيل المثال، وعلى افتراض أن الحارث يتحدث باسم عشيرته أيضاً- كانت تسكن جنوب الحوطة، ومن تلك الجهات انتقلت تغير على (البحرين)، وواصلوا تحركهم، حتى أدركهم البحر.

وأما بشكل عام، فقال بكر بن النطاح الحنفي، في العصر العباسي الأول، وهو يشير إلى حرب حنيفة، من بكر، الخوارج من عبد القيس، كما سنلاحظ

الكتب الجديدة، ط1، 1968م) ص111.

(1) أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم

الكتب، ط3، 1403هـ/1983م) ج1، ص86.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص369.

(3) لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مط

الحكومة، 1962م) ص336.

من قول الفرزدق الآتي:

وعاجت على البحرين منا عصابة

حمتها بأعلام لها وسمات⁽¹⁾

شعر في البحرين القديمة

(باستثناء الجزيرة (أوال) قديماً)، في الجاهلية

ومن أشهر الأقوال في البحرين قديماً - على أن المقصود به ما حاذى الساحل - قول القائل:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله

ويغبط بما في بطنه وهو جائع⁽²⁾

وقال آخر:

راح وقد ملّ ثواء البحرين⁽³⁾

وقال جماعة البارقي:

واتلأبت تؤم قافية البحـ

رين بالخور بين أيدي الرعاء⁽⁴⁾

(1) حاتم صالح الضامن، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1987م) ص226.

(2) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مطب مصطفى البابي الحلبي، 1363هـ، 1924م) ج4، ص139.

(3) أبو علي، هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: شركة العبيكان، ط1، 1413هـ/1992م) ج3، ص1335.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص373.

في الإسلام

وفي الإسلام قال أحد المرتدين:

نسير إلى البحرين نأكل تمرها

ونرعى حماها بالقنا والقبائل⁽¹⁾

وقال عبدالله بن عتبة:

وليس لكم بالبحرين حابس طاقة

وليس لكم بالمسلمين يدان⁽²⁾

كما قال الفرزدق، وهو لا يقصد إلا منطقة الأحساء والقطيف:

حنيفة أفنت بالسيوف وبالقنا حرور

ية البحرين يوم ابن بخدج⁽³⁾

وقال آخر:

وخيلك بالبحرين تعتلف النوى

وللثمر خير من حشيش وأنفع⁽⁴⁾

عبادة عبدالقيس (الأسبذ)، بالأحساء

قال طرفة، والملاحظ أنه يتوجه بالإشارة إلى أهل الأحساء (أهل المشقر

(1) محمد بن عمر بن واقد، كتاب الردة، تحقيق: يحيى الجبوري (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ/1990م) ص151.

(2) شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار صادر، د - ت) ج3، ص92.

(3) همام بن غالب، الفرزدق، ديوان الفرزدق، تحقيق: إسماعيل الصاوي (القاهرة: مط الصاوي، ط1، 1354هـ/1936م) ج1، ص143.

(4) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مط الفنية الحديثة، 1384هـ/1964م) ج2، ص33.

والصفا)، أي: عبد القيس في الجاهلية:

خذوا حذرکم أهل المشقر والصفَا

عبید اسبذ والقرض یجزي من القرض⁽¹⁾

ولا يمكن الاعتماد على هذا الشاهد على أن عبد القيس عبدوا (أسبذ): الحصان؛ فطرفة لا يعبر عبد القيس بعبادة الأوثان أبداً، وما هكذا يكون التعبير في أشعارهم، فهو وثني مثلهم، وإنما المقصود تعييرهم خضوعهم للقائد العسكري الفارسي (أسبذ) الذي ذكره ياقوت باسمه الفارسي (أسبيدويه)، وعبد القيس في الجاهلية وثنية، وصنمها هو (ذو اللبأ).⁽²⁾ وهذا هو معنى قول مالك بن نويرة، مع حصر الخطاب في عبد القيس وحدها، وفي الأحساء نفسها:

أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم

كما لا يريم الأسبذي المشقرا⁽³⁾

وعلى هذا، فإن (أسبذ)، أو (أسبيديون)، هم جنود الحامية الفارسية في (هجر) (الأحساء)، وليس مثلما يذهب إليه النجم من أنهم من بني دارم، من تميم، فهذا أشدّ بعداً. وقد استشهد النجم أيضاً بقول ذي الرمة:

ولكنما أصل امرئ القيس معشر

يحل لهم لحم الخنازير والخمر

(1) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ). وتسهلت الهمزة في الشعر للوزن.

(2) المصدر نفسه، (ذو اللبأ).

(3) المصدر نفسه.

وقال:

«واعتق النصرانية من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة».

وهذا غير صحيح، فهؤلاء وثنون كبقية تميم في منطقة غرب اليمامة، ولا دخل لهؤلاء بمنطقة البحرين التي يدرسها النجم، وذو الرمة يهجو قوم امرئ القيس، وهم قوم من تميم، ممن يسكن غرب اليمامة، جاؤوا -كما يدعى- من (حوران): بالشام، فهم هؤلاء نصارى، كل هذا هجاء وقذح، وفي ديوان ذي الرمة توضيح لذلك.⁽¹⁾

البحرين، الجزيرة (أوال) لم يكن لها ذكر بهذا الاسم في الجاهلية وصدر الإسلام حتى القرن السابع الهجري
قال النجم عن البحرين المعاصرة:

«وهي من الجزائر المأهولة بالسكان عند ظهور الإسلام».

وأحال على الفصل الثاني من كتابه، ولم يأت في هذه الصفحات بشيء يثبت قوله، اللهم إلا ما يتعلق بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية الآن، مما كان يسمى أيضاً: (البحرين)، وينطبق هذا على ما ذكره عن المحاصيل الزراعية. كما قال:

«وفي الجزيرة عند ظهور الإسلام مدينة، حسنة، ولها جامع».⁽²⁾

ومن المؤكد أنه يشير بهذا المسجد إلى (جواثي) بهجر ومسجدها، وهما ليسا في الجزيرة، أي: البحرين الآن، ولا يمكن أن يكون ذلك.

(1) غيلان بن عقبة العدوي، ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ط1، 1402هـ/1982م) ج1، ص260.

(2) عبد الرحمن عبد الكريم النجم، البحرين في صدر الإسلام (بغداد: مطب الجمهورية، 1973م) ص22. وانظر، صص41 - 46، 81 - 82، حاشية ص138. وانظر كذلك، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، البحرين في صدر الإسلام (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، 1412هـ/2000م) ص35.

تسمية (أوال) بـ (البحرين)

من المتفق عليه أن اسم (البحرين)، الجزيرة، انتقل إليها من الاسم العام في (البحرين) القديمة. قال الإدريسي:

«جزيرة أوال جزيرة حسنة، بها مدينة كبيرة تسمى: البحرين، وهي عامرة، خصبة، كثيرة الزروع والنخل، وفيها عيون ماء كثيرة، ومياهاها عذبة منها عين تسمى: عين بوزيدان».⁽¹⁾

وهو يقصد (البلاد القديم) بها، جنوب (جد حفص).⁽²⁾

وإذن، فإن اسم (البحرين) الذي تقلص تدريجياً من منطقة البحرين كلها؛ أطلق أولاً على هذا الجزء من جزيرة (البحرين)، ثم أصبح عاماً. على الرغم من أن الإدريسي يقول:

«وسميت البحرين بجزيرة أوال، وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين برّ فارس مجرى، ومنها إلى برّ العرب مجرى».⁽³⁾

اضطراب في تحديد البحرين

قال أحد الأعراب:

رمى به في موحش القفار

بساحل البحرين للصغار

ويقول ابن خرداذبه:

(1) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن إدريس، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409 هـ/1989 م) ص387.

(2) انظر، محمد بن أحمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 004 م) ص50.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص386 - 387.

«مدينة البحرين: في شط العرب».⁽¹⁾

مما يوهم بأنها غير (البحرين): الجزيرة. هكذا، قال ابن بطوطة:
«ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات
بساتين وأشجار وأنهار، وماؤها قريب المؤونة، يحضر عليه بالأيدي، فيوجد،
وبها حدائق النخل والرمال والأترج، يزرع بها القطن، وهي شديدة الحر،
كثيرة الرمال، وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين
عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع، فلا يوصل من عُمان إليها إلا
في البحر، وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما: بكسير، وهو في
غربيها، ويسمى: الآخر بعوير وهو في شرقيه».⁽²⁾

ويقول ياقوت:

«كسير وعوير: وهما جبلان، مشرفان على أقصى بحر
عمان...».⁽³⁾

ومع أن هنا اضطراباً في التحديد مع اتفاق في الأسماء، فالراجح أن الاثنين
كليهما يعنيان (البحرين) نفسها لا سواها.

البحرين (البحر الأحمر) أو قرية في تهامة

أما قول حميد بن ثور:

تَرَوَى مِنَ الْبَحْرَيْنِ عُودَ رَمِيَّةٍ

كَمَا اسْتَرْبَعَ الْبَزَّ الْقَطَارَ الْمَطْبَعُ

(1) أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق م - مج - ج - دي جوجه
(بريل: مطبعة بريل، 1889م) ص 60.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 279 - 280.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (كسير).

فالمحقق يقول:

«يحتمل أنه أراد هنا: الموضع الذي بين البصرة و«عمان».

وهذا احتمال ليس في موضعه، فحميد يصف السحاب:

.....

أدانيه للأوق والسَّيِّدان والمَّين يَضْجَع⁽¹⁾

والسحاب الممطر بهذه الكثافة وبهذه السرعة -أو بسواهما- لا يأتي نواحي
بيشة من منطقة (البحرين) أبداً، وكل شعراء هذه الجهة إنما يصفون
السحاب قادماً من البحر الأحمر؛ ف(البحرين) هنا متنى (بحر) يعنون
به: البحر الأحمر تحديداً، قادماً من جنوب تهامة. ويجوز أيضاً أن يقصد
به (البحرين) موضعاً بهذا الاسم في جنوب تهامة، قال ياقوت:

«ذهبان: موضع قريب من البحرين، قريب من الراحة؛ والراحة قرية بينها
وبين حَرَضَ يوم، وهو من نواحي زبيد».⁽²⁾

وقال الجاسر:

«لاشك أن كلمة البحرين في كلام ياقوت خطأ؛ حرض: في تهامة».⁽³⁾

وكلام ياقوت صحيح، ولا يعني به (البحرين): المنطقة المشهورة، وإنما
يعني به موضعاً ذاك اسمه في تهامة، جنوبي جيزان، شمال وادي (بيش)،
حيث (الراحة).⁽⁴⁾

(1) حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مط دار الكتب، 11هـ/1951م) ص106.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (ذهبان).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، ص827.

(4) انظر، محمد بن أحمد العقيلي، مقاطعة جازان الرياض: دار اليمامة، 1389هـ/1969م ج1، ص108.

جواشى

قال البكري:

«مدينة الخط».⁽¹⁾

وقال الجاسر:

«وقوع القرية في مرتفع من الأرض، وهو حزن منقاد من الآكام، تقع شمال موقع القرية وشرقه، إلا أن الرمال المتموجة قد أحاطت بالقرية من جهتها الغربية... قرية الكلابية الواقعة بقربه... وموقع جواشى مرتفع بالنسبة لقرى واحة الأحساء... وموقع جواشى لا يزال معروفاً بهذا الاسم في الجهة الشرقية من قرية الكلابية الواقعة شرق مدينة المبرز... في الجهة الشمالية من جواشى جليل وآكام».⁽²⁾

وفيها يقول كثير عزة:

نواعم عُمَّ على ميثب
عظام الجذوع أحلَّت بُعَاثَا
كُدْهم الرُّكَّاب بأثقالها
غدت من سَماهيح أو من جَواشى⁽³⁾

وفيها يقول امرؤ القيس:

ورحنا كأننا من جواشى عشية

نعالي النعاج بين عدل ومُحَقِّق⁽⁴⁾

(1) البكري، معجم ما استعجم، (جواشى). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (جواثاء).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج1، ص429، 431. وانظر، ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج3،

ص92.

(3) كثير عزة، ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، 1391هـ/1971م) ص211.

(4) امرؤ القيس بن حجر الكندي، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار

وقال سَوَّار بن حيان المنقري:

فيالك من أيام صدق نعدّها

كيوم جواثى نيلَ والنباج وثيتلا⁽¹⁾

ويقول الأخطل:

كأنها بالرحى سفن ملججة

أو حائش من جواثى ناعم سُحق⁽²⁾

وقال عبدالله بن حَذَف الكلابي:

فهل لك في شباب منك أمسوا

أسارى في جواثٍ محاصرينا⁽³⁾

ويقول الفرزدق:

طاروا شعاعاً وما سَلَّوا سيوفهم

وغادروا في جواثى سيّدي مضرا⁽⁴⁾

ويقول أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها

نخل مواقر من نخيل جواثى⁽⁵⁾

(المعارف، 1963م) ص54. وانظر، علقمة بن عبدة التميمي، الفحل، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصقال ودريّة الخطيب (حلب: مطب الأصيل، 1969م) ص98.

(1) البكري، معجم ما استعجم، (ثيتل).

(2) ياقوت، معجم البلدان (برقة) خيف.

(3) المصدر نفسه، (البحرين).

(4) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص386.

(5) حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1972م) ج1، ص313.

ويقول الآخر:

كأنما اجتث على حلابها

نخل جواثى من أرطابها⁽¹⁾

ويقول غيره:

ما ضرَّ انتيناسَ ألا يكون له

يومٌ جُواثا ويومٌ ذي قار⁽²⁾

وتقول امرأة من عبد القيس:

لبئس حُماة الحرب يوم لقيتهم

غداة جُواثى إذ تلوذون بالنخل⁽³⁾

أما قول حسان:

بتنا بدارة جَواتا يُفزعنا

صوت الرياح وأصوات النواقيس

وقال محققه:

«لم أجد دارة جواتا... وأقرب ما في المعجم جواثاء، إلا أنها في البحرين»⁽⁴⁾.

والصورة لا علاقة لها بالبحرين؛ فحسان يقول قبله:

(1) أبو الفضل، جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د - ت) (سيف).

(2) أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق م - مج - ج - دي جوجه (بريل: مطبعة بريل، 1889م) ص 152.

(3) أبو عبد الله، محمد بن عمران المرزباني، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي (بغداد: مط دار الرسالة للطباعة، 1396هـ/1976م) ص 142.

(4) حسان بن ثابت، ديوان حسان، تحقيق: وليد عرفات (بيروت: دار صادر، 1974م) ج 1، ص 426. وانظر، ج 2، ص 308.

لَسْنَا بِحَمَتٍ وَلَا رِيمٍ وَلَا صَوْرِي
 لَكِنْ بِمَرْجٍ مِنَ الْجَوْلَانِ مَفْرُوسٍ
 وهذا يعني أن: (دائرة جَوَاتَا) في الشام تحديداً.

حُوار

حُوار: بهجر (قرية الحليّة)

قال ياقوت: «وَرَوَى فِيهَا فَتْحُ الرَّاءِ عَلَى أَنَّهَا مَثْنَى (حُوَارَيْنِ)، وَعَلَى أَنَّ الْحَاءَ تَأْتِي أَيْضاً بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، إِلَى جَانِبِ الضَّمِّ»:

«حُوَارَيْنِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَيُكْسَرُ-: بِلَدَةِ الْبَحْرَيْنِ، افْتَتَحَهَا زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو
 بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ عَصْرٍ، وَأَخُوهُ خِلَاسُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ فَقِيْهًا، مِنْ أَصْحَابِ عَلِي
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».⁽¹⁾

ثم جاء برسم ثانٍ، بكسر الحاء والتنثنية فقط، فقال:
 «حُوَارَيْنِ وَ (الجِيَارِ): قَرِيَتَانِ بِالْبَحْرَيْنِ، كَأَنَّهُ ضَمٌّ (الْجِيَارِ) إِلَى حُوَارٍ،
 وَسَمَاهُمَا: حُوَارَيْنِ».⁽²⁾
 إِلَّا أَنَّ يَاقُوتاً قَالَ أَيْضاً:

«حُوار: مِنْ نَوَاحِي هَجَرَ، وَيُقَالُ لَهَا: حُوَارَيْنِ أَيْضاً».⁽³⁾
 وَقَالَ آلُ عَبْدِ الْقَادِرِ، وَهَذَا غَرِيبٌ، إِذْ (حُوار) عَلَى بَعْدِ مَسَافَةٍ مِنْ قَطْرِ،
 مَعْرُوفَةٌ، كَمَا يَقُولُ هُوَ، وَلَكِنْ آلُ عَبْدِ الْقَادِرِ حَائِزٌ فِي مَعْنَى قَوْلِ يَاقُوتَ: «مِنْ

(1) ياقوت، معجم البلدان، حُوارَيْنِ.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، (حوار).

نواحي هجر»، يقول:

«حُوار: هي مجهولة المحلّ، ولعلها من قرى الخطّ المجاورة لسيف البحر، وذكر لي بعض الثقات أن حُوار جزيرة معروفة الآن بين أوال وقطر».⁽¹⁾

وكل هذه الأقوال تثير البلبلة بما لا داعي لها، فقول ياقوت الثاني:

«حُوار: من نواحي هجر، ويقال لها: حُوارين أيضاً».

هو نفسه قوله الأول:

«حُوارين: بلدة بالبحرين».

ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون غير هذا، ذلك أن المسلمين اكتسحوا منطقة البحرين كلها، وأقاموا مسجد (جواثي)، فكيف تكون قرية -أو ما عداها- خارجة عن سيطرتهم، وهي مجاورة لهم؟ وهذا يدلّ على أنهم تأخروا قليلاً في فتح (أوال)، و(قطر) أيضاً، إذ أسلمت أجزاء من البحرين: هجر والقطيف، سلماً، لا حرباً، وتمت مطاردة المرتدين حتى (دارين). وهذا مصداق قول ياقوت:

«حُوارين: بلدة بالبحرين، افتتحها زياد بن عمرو بن المنذر بن عَصْر، وأخوه خِلاس بن عمرو، وكان فقيهاً، من أصحاب علي رضي الله عنه».

ففتح الجزيرة - (حُوار) - ثمّ في أوائل خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرد ذكر لها في الفتوحات الأولى، ولو كان المرتدون على علاقة بـ (أوال)، أو (قطر)، أو ما بينهما، لضرّوا إليها، فهي أقرب لهم من (القطيف) التي لم تخضع نهائياً إلا في خلافة عمر رضي الله عنه، الأمر الذي يؤكد أن فتح (أوال) و(قطر)، وما بينهما (حوار)، لم يكن إلا بعد حين.

(1) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ج 1، ص 40.

وواضح أن التشكك في الاسم جاء من ربط هذه الجزيرة بإنتاج التمر، كما سنرى في قول جرير:

.....

وجاءت بتمر من حُوارين غيرها

إنه من الواضح أن ذكر التثنية، أو الجمع في (حُوار)، جاء من قول جرير السابق: «وجاءت من حوارين»، وهي طريقة مألوفة في الشعر القديم يتصرّفون في الأسماء للوزن؛ ولكنهم لا يضمّون المواضع المتباعدة إلى بعضها، وهم عندما يتحدثون عن تمر الأحساء، تبرز بخاصة إلى سطح الذاكرة دوماً (جواثي) في أشعارهم، أو بشكل عام (هجر)، أي: أن (الجَيَّار) لا ذكر له على الإطلاق، فهو ضمن (جواثي)، وإنما الذكر لـ (حُوار) - الجزيرة - فقط، وقد غلبت في الذكر على ما سواها، وإنما يقصد (حوار) هذه نفسها، كما في قوله الأول:

«حوارين و(الجيار): قريتان بالبحرين».

وليس هذا فحسب، بل إن ياقوتاً الذي جاء بكل ذلك الخلط، يقول:

«حَرَّان الكبرى وحَرَّان الصغرى: بالبحرين، لبني عامر»⁽¹⁾.

الجَيَّار: هو حُوار الأخرى غير الجزيرة

سنرى تصحيفين هما: (شُفار)، و(شُقار)، وفي كليهما يعنون به خطأ (حُوار)، الجزيرة، إذ إن قول ياقوت:

(الجَيَّار): موضع بالبحرين، كان عنده مقتل الحُطَم... بن قيس بن ثعلبة، لما ارتد بكر بن وائل في أيام أبي بكر رضي الله عنه.⁽²⁾

(1) ياقوت، معجم البلدان، (حران).

(2) المصدر نفسه، (الجيار).

وقوله:

«ارتدَّ من ارتدَّ بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحُطَم... فسار الحطم حتى لحق بريية، فانضمت إليه ربيعة، فخرج العلاء عليهم بمن انضم إليه من العرب والعجم، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم إن المسلمين لجؤوا إلى حصن جواثى، فحاصروهم فيه عدوهم... ثم إن العلاء عني بالحطم ومن معه، وصابره، وهما متناصفان، فسمع في ليلة في عسكر الحطم ضوضاء، فأرسل إليه من يأتيه بالخبر، فرجع الرسول، فأخبره أن القوم قد شربوا، وثلموا، فخرج بالمسلمين، فبيت ربيعة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فقتل الحطم... يوم جواثى... فلما ظهر المسلمون... الغرور... لحق هو وفل ربيعة بالخط»⁽¹⁾.

يذهب بنا تلقائياً نحو يوم (جواثى). يقول الجاسر:

«الجيار: الحطم قُتل في جواثا وجيار هذا يُذكر مع حوار، فيقال فيهما حوارين. وإذا صحَّ مقتل الحطم في جواثا فإن جيار ينبغي أن يكون بقرها، من المواضع التي درست، على أنه حين يُقرن بحوار يدل على تقارب الموضعين وحوار إذا كان الموضع الذي لا يزال معروفاً فهو بعيد عن جواثى، إلا إذا كان الحطم أصيب بجيار، ثم نقل إلى حوار الذي تأخر استيلاء المسلمين عليه. وهذا ليس ببعيد»⁽²⁾.

وصحيح أن (الجيار: من المواضع التي درست)، إلا أنه ليس صحيحاً في المقابل: (أنه حين يُقرن بحوار يدل على تقارب الموضعين)، فهذه إحدى طرق القدماء في حشد المواضع، أحياناً، بيد أنه كان ينبغي التركيز على: «وحوار إذا كان الموضع الذي لا يزال معروفاً فهو بعيد عن جواثى»، لنبحث

(1) المصدر نفسه، (البحرين). وانظر، (جواثا).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج 1، ص 446.

عن ذلك البعد، أي: أن (الجَيَّارَ)، لا علاقة له مطلقاً بـ(حُوار)، الجزيرة، لا أن نفترض: «إذا كان الحُطم أصيب بجيار، ثم نُقل إلى حوار»، ومن ثم علينا أن نستبعد كلية نتيجه: «وهذا ليس ببعيد».

ولم يُنقل جُثمان الحُطم إلى (حوار)؛ لأنه من غير المعقول أن يجتازوا الرمال حتى ساحل العقير، ثم ينقلوه بالسفينة إلى (حُوار)، أو يجتازوا قطر، فيخوضوا البحر، وإنما قُتل في (الجَيَّار)، وبها دُفن، و(الجَيَّار) غير (حُوار) الجزيرة تلك. وكان الصواب - هو قوله: «الجَيَّار: من المواضع التي درست»، ثم قوله الآتي: «وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثي». دون قوله:

«وقد غمرتها الرمال»، وقوله الآخر الآتي أيضاً: «وإذا صحَّ مقتل الحُطم في جواثا فإن جَيَّار ينبغي أن يكون بقربها».

وكما سيأتي توضيحه. وسبق أن قال آل عبد القادر «حوارين: مجهول المحلّ»، دون التورط في فرضية: «ولعلها من قرى الخطّ المجاورة لسيف البحر». وأخيراً، فالصحيح قول الجاسر أيضاً عن (الحوارين):

«وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثي وقد غمرتها الرمال، كما غمرت كثيراً من القرى، أما حُوار، فهي معروفة، تقع جنوب جزيرة المنامة على مقربة من الساحل الغربي لجزيرة قطر، وهي غير مسكونة، وقد يكون اسم حوار القرية إلى هذه الجزيرة بانتقال أهل القرية إليها، كما انتقل اسم البحرين إلى جزيرة أوال»⁽¹⁾.

وهنا يتعلق الجاسر برسم الأسماء، كما وردت في مظانها، وكيفما كان تحديدها فيها، إذ راح يبحث عن (حوارين)، محاولاً الربط بينه وبين

(1) المرجع السابق، ج2، ص559.

(حوار) - الجزيرة- دون الالتفات إلى موقعه الحقيقي.

يقول عمارة بن عقيل:

عن عامر وبني جذيمة إذ هوى

للحين (حدّ) جذيمة العُشَّار⁽¹⁾

وكان العدد والكثرة فيها لبني محارب، قال ياقوت:

(شُفار): أهلها بنو عامر بن الحارث من عبد القيس.⁽²⁾

وإذن، فنحن أما تصحيف جديد هو هذا المذكور (الجَيَّار)، موضع لا علاقة له بـ(حوار).

وعلى كل حال، يمكن تحديد موقع (الجَيَّار) -حسب هذا الرسم- الآن بكل وضوح من تلك المعركة الطاحنة بين المسلمين المرتدين، فالمرتدون كانوا أسفل الحصن -حصن (جواثى) - من ناحية الشمال؛ لأنهم بعد هزيمتهم فروا هاربين إلى (القطيف)؛ ولأن مجيئهم إلى (هجر) كان من الشمال أيضاً، فـ(الجَيَّار) ليس قريباً من (جواثى) فقط، بل ملاصقاً لها من الناحية الشمالية؛ لأن المسلمين سمعوا ضجيج السُّكَّارى من داخل الحصن، وهم لا يسمعون لو كانوا مجرد قريبين منه، فقد كان المرتدون مُطبِّقين على الحصن. إنها أرض زراعية، وليست رملية، كما وصف الجاسر سابقاً: (وقد غمرتها الرمال)، بل أكثر من ذلك: إنها الآن هي (الحليلة) نفسها، أي: في قلب الأحساء. وكان معسكر المرتدين في طرفها الشمالي.

قال عمارة بن عقيل:

واسأل حُوار غداة قتل محلّم

فليخبرنك إن سألت حُوار⁽³⁾

(1) ياقوت، معجم البلدان، (حوارين)، وانظر، (حرّان). (حدّ): أظنها (جَدّ).

(2) المصدر نفسه، (شُفار).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (حوارين).

ويعني هذا أننا في منطقة الأحساء، حيث تقع الحروب على مصادر المياه، وفي نطاق يمكن التحرك منه بسرعة نحو الصحراء: الدهناء والصمان، غرب الأحساء، يحدّده ذكر (محلّم) (عين أم سبعة)، كما سنعلم بعد قليل، ومن هنا وقع اللبس بذكر (حُوار)، الجزيرة. وينقلنا قول عمارة ذاك إلى قوله:

عامر وبني جذيمة إذ هوى

.....

فياقوت يستشهد به على الجزيرة حين يقول:

(شُفار): أهلها بنو عامر بن الحارث من عبدالقيس.

ونحن نراه يربط بين (محلّم): عين أم سبعة - التي سيأتي الحديث عنها - و(حوار)، أي: أن الحديث عن (حوار) الملاصقة لـ (جواثي)، لا عن (حوار) الجزيرة، على الرغم من أن ياقوتاً يخلط بين (حوار) الجزيرة، و(حوار) التي في جهات (محلّم) / (جواثي).

هذه مسألة، والمسألة الأخرى أن جريراً ثنى الاسم (حُوار)، فظلّ الذهن ينصرف إلى (حُوار) الجزيرة أيضاً. قال جرير:

أفخرأ إذا رأيت وطاب مجاشع

وجاءت بتمر من حُوارين غيرها⁽¹⁾

وهنا تتكشف لنا الحقيقة، فبنو مجاشع، قوم الفرزدق، الذين كانوا يمتارون التمر، لم يكونوا ليذهبوا إلى تلك الجزيرة عبر الرمال الشاقة، فينقلوا تمرها إلى البادية، حيث منازل مجاشع، في جهات الحُفر - حفر الباطن،

(1) جرير، ديوان جرير، ج2، ص881.

وإنما كانوا يأتون إلى الأحساء، هجر، وفي أسواقها الداخلية، ثم يخرجون على عجل إلى منازلهم، وهم كانوا دوماً يفعلون هذا، وهو ما سنصادف مثله عند الحديث عن (عينين).

ومن ثم، فالموضع هو (حُوار)، وهو موضع آخر غير المقترن بالجزيرة، وقد وقع فيه تصحيف، فاشتبه بغيره، بدليل قول جرير تنثية أو جمعاً -وفق القراءة- وقول عمارة.

وهنا يتحقق رأي الجاسر، دون التشكك فيه، أو التفريط به:

«وأميل إلى أنها من القرى القريبة من جواثي».

مقتل الحُطَم في حوار/ جَيَّار/ = الرَّدَم/ رَدَم القداح

قال ياقوت فيما سبق:

«الجَيَّار...عنده مقتل الحُطَم».

ورأينا أن هذه هي الرأس الشمالي لقرية (الحليلة)، حتى بالتصحيف في (جيار). وإن أقدم مصدر بين أيدينا الآن ممّا ذكر (جَيَّار)، مرتبطاً بحروب الرُّدة هو كتاب نصر الإسكندري (ت 561هـ تقريباً) في كتابه (الأمكنة والمياه والجبال). وعنه نقل الحازمي (ت 584هـ) في كتابه (الأمكنة)، ثم نقل عنهما ياقوت، في معجم البلدان. على حين أن المصادر الأولى، وأسبقها كتاب الرُّدة للواقدي، لم تذكر (جَيَّار) هذا أبداً. وعن كتاب الواقدي هذا تناقلت المصادر الأخرى، الأمر الذي نتبين منه تداخل الاسمين: (حوار) و(جَيَّار)، ودفع -بالتالي- إلى تفسير التنثية أو الجمع. بل إن المصادر الأولى التي كان أولها كتاب الواقدي، والتي لم تذكر (جَيَّار)، لم تذكر ما ذكره نصر من أن الحُطَم قُتِلَ في (جَيَّار)، والمصدر الأول لهذه

الأخبار هو الواقدي الذي ذكر مقتله في (الرَّدْم) ⁽¹⁾، وكل المصادر تتفق على مصرع الحُطَم في جوف المعركة - معركة (جواثى) ⁽²⁾ في رأس (الحليلة الشمالي)، فجيوش المسلمين داهمت المرتدين، منقُضين عليهم من حصن (جواثى)، ومن الجهات الغربية، خارج الحصن بقيادة العلاء الحضرمي، وفي هذه الحالة لا محالة من قتل الرئيس، أي: الحُطَم، فالمعركة وقعت في مكانها الصحيح من (هجر)، معركة (الرَّدْم)، فـ (الرَّدْم) هو (حوار) وهو (الجيار)، والحُطَم قُتل هناك في (الرَّدْم)، ودُفِن به، إذ تركه المرتدون، وولّوا منهزمين نحو القطيف، وكانت حكاية ياقوت عن جَوَّ المعركة، وتحديد هـ لها صحيحين، إلا أنه اضطرب في تسميته المعركة - نقلاً عمّن سواه. ولقد جاء في كتاب تاريخ الردة للكلاعي (ت634هـ) توضيح أكثر حين قال:

«بعث مُخارقُ بن شُريح، أحد بني قيس بن ثعلبة... إلى مرزبان الخطّ (القطيف) يستمده، فأمدّه بالأساور، فنزل الحُطَم رَدَم القداح، وكان حَلَف أن لا يشرب الخمر حتى يرى هجر، فقالوا له: هذه هجر... وسار الحُطَم وأبجر بن جابر العجلي فيمن معهما حتى (حضرُوا) العلاء بن العلاء الحضرمي الجُاثاء... فمكثوا محصورين... ثم سار العلاء بن الحضرمي إلى الخطّ» ⁽³⁾.

ويمكن تحديد موقع المعركة الآن بكل وضوح من ذلك القتال الشرس بين المسلمين والمرتدين، فالمرتدون كانوا أسفل الحصن - حصن (جواثى) -

(1) الواقدي، كتاب الردة، ص163.

(2) انظر، أبا العباس، أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت: دار النشر للملايين، 1377هـ/1957م) صص114 - 115: الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص203: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص370.

(3) أبو الربيع، سليمان بن موسى الكلاعي، تاريخ الردة، اقتبس من الاكتفاء، خورشيد أحمد فاروق (دهلي: مؤسسة فيكاس الخاصة، 1980م) صص138 - 139، 1142.

من ناحية الشمال؛ لأنهم، بعد هزيمتهم، فرّوا هاربين إلى القطيف؛ ولأن مجيئهم إلى (هجر) كان من الشمال أيضاً، فـ(الرَّدْم) -أو (رَدْم القداح)- ليس قريباً من (جواثي) فقط، بل ملاصقاً لها من الناحية الشمالية؛ لأن المسلمين سمعوا ضجيج السكاري، وهم لا يسمعون له لو كانوا قريبين منه، فلقد كان المرتدون مُطَبِّقين على الحصن.

إنها أرض زراعية، وليست أرضاً رملية، وكان الفاصل بين جيوش المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي والمرتدين من الجهة الغربية عبارة عن خندقين متقابلين.

فإذا كان المسلمون آتين من الغرب، وإذا كان المرتدون قادمين من القطيف، فإن الجهة الوحيدة الباقية هي الجهة الشمالية. وعليه، فإن موقع (الرَّدْم) / (رَدْم القداح) / (حوار) (جَيَّار) : هو الرأس الشمالي من قرية (الحليلة) الآن، حيث تمركز جيش المرتدين في شمالها، فـ(الرَّدْم) : هو (الحليلة)، وهو (حوار) وهو المصحف (الجيار).

بقول قيس بن عاصم المنقري، قاتل الحُطَم في جوف المعركة:

لَمَّا بَدَأَ لِي حُطَمٌ وَحَدَهُ

يَدْعُو بِأَعْلَى الصَّوْتِ مَنْ عَاقَلِي

أَقْبَلْتُ فِي النَّقْعِ إِلَى فَارَسِ

أَشْبَهَ شَيْءٍ مِنْهُ بِالزَّاجِلِ

وبعد:

لَمَّا انْتَنَى وَثْنِي رَجَلَاهُ

عَمَّمْتُهُ بِالْمُرْهَافِ الْقَاصِلِ⁽¹⁾

(1) الواقدي، كتاب الردة، ص 164 - 165.

إذن، (جيار): أي: (حوار) هجر، ما هو إلا (الرَّدْم) أو (رَدْم القداح).

الخلافا حول (الرَّدْم)

جاء في كتاب (الرَّدة) للواقدي (ت207هـ):

«انهزم الكفار إلى موضع يقال له: الرَّدْم... سار العلاء بن الحضرمي بمن معه يريد جزيرة دارين... حتى وافى الكفار بموضع يقال له: الرَّدْم... وانهزم الكفار... وقد كان رئيس لهم يقال له: الحُطَم بن زيد... بَصْر به رجل من المسلمين، فحمل عليه، وضربه، فقتله، وانهزم الفرس... فصار بعضهم إلى موضع يقال له: الزارة والقطيف»⁽¹⁾.

وهذا يعني نقل موضع القتل إلى جهات القطيف الشمالية، أي: بعد فرار المرتدين إلى (الزَّارة) (الرمادة - قرب العوامية)، ثم إلى العراق. وهنا نقع في مشكلة، فالقائد كان في جوف المعركة الأولى، معركة (جواثي)، وكان سكران، ولا بدَّ أنه قُتل بها، كما تتفق المصادر جميعاً نقلاً عن الواقدي نفسه. ومن الواضح هنا أن خلافاً في الرواية أدّى إلى ذلك التداخل، ولاسيما أنه المصدر الأول الذي تنوّعت عنه جميع الروايات التالية، وهو لا يعني إلا معركة (جواثي)، ف(الرَّدْم) حولها.

الرَّدْم / قرية (الحليلة)

يقول ياقوت:

«الرَّدْم: قرية لبني عامر بن الحارث العبّسيين، بالبحرين، وهي كبيرة»⁽²⁾.

وذكر الرجز التالي:

(1) المصدر نفسه، ص 158 - 159.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الرَّدْم).

كم غادرت بالرَّدْمِ يوم الرَّدْمِ

وبين أن هذا الرجز قيل في يوم (الرَّدْم). ومن ثم، فـ(الرَّدْم): اسم معروف في هذه الناحية من الأحساء.

وهناك يوم آخر غير يوم (الرَّدْم) الأول هذا، وهو الذي قال عنه المسعودي في معرض كلامه عن (جواثي):

«وكان بها العريان بن هيثم الربيعي... علي بن محمد، المنتمي إلى أبي طالب، صاحب الزنج، الناجم بالبصرة، عند ظهوره بالبحرين، في تميم، وكلاب، ونمير، وغيرهم، وذلك قبل مسيره إلى البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان»⁽¹⁾.

وعلي بن محمد هو القائل:

أحسبني العُريان أنسى فوارسي

غداة نزال الرَّدْمِ والموت عالق⁽²⁾

ويقول الجاسر:

«الرَّدْم: هذا من الأمكنة التي درست، فجُهِل موقعها»⁽³⁾.

والتأمل في حركات التمرد في البحرين التي تشترك فيها بنوع عامر، يجد أن هذه الأحداث كثيراً ما تنطلق من الأحساء، وجيوش الخلافة العباسية كانت تهاجم الأحساء، بل حتى المعارك التي خاضتها الأحساء ضد الهجمات القادمة من الشمال، كانت تقع في جهات شمال (المبرز)، وفي جهات

(1) أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف (لیدن: مط بريل، 1893م) ص 392 - 393.

(2) المصدر نفسه، ص 393.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج 2، ص 752.

(البطالية). وعليه، فإن موقع (الرّدم): هو موقع (الحليلة) الآن، وهو ما يتوافق توافقاً طبيعياً مع المعركة الدامية التي نشبت بين المسلمين والمرتدين. ثم إن عليّ بن محمد يقول في هروبه إلى العراق:

أيا طائر الصّمان مالك مُفرداً

تأسيت بي أم عاق إلفك عائق⁽¹⁾

والفار من القطيف ونواحيه لا يمرّ بـ(الصّمان)، وإنما يجتاز الدهناء، والذي يمرّ بأطراف (الصّمان) الشمالية الغربية نحو العراق هو الخارج من الأحساء، وهذا تأكيد على أن (الرّدم): بالأحساء، وذلك موقعه. وقول ياقوت السابق:

«الرّدم: قرية كبيرة...»، يعني في الأحساء، فهي ذات القرى، وقرى القطيف صغيرة، وليست بذلك الحجم.

وهكذا، يتضح أن (حوار) -وهو ما يعني كثيراً- ليس المقصود به جزيرة (حوار)، وإنما المقصود به هذا الموضع من (هجر)، ولا شيء سواه، وهو ما يؤكد قول عمارة بن عقيل. وإنما جاء اللبس والغموض من بروز (حوار) الجزيرة إلى سطح الذاكرة فقط، على حين لا قيمة آنذاك تاريخياً، ولا اقتصادياً، بله سياسياً أو عسكرياً لـ(حوار) الجزيرة.

تصحيح في حوار

قال ياقوت، وهو يعين (حوار)، وجاء به مصحّفاً، (شُفار)، بدلاً من (حوار):

(شُفار): وهي جزيرة بين أوال وقطر، فيها قرى كثيرة.⁽²⁾

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 393.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (شُفار).

كما جاء مصحفاً أيضاً، وبالتحديد نفسه عنده في رسم مفرد (شُقار)، بدلاً من (حُوار):

«شُقار: جزيرة بين أوال وقطر فيها قرى كثيرة، من أعمال هجر».⁽¹⁾

وسبق أن قال الجاسر عن هذه الجزيرة:

«غير مسكونة»،

وهذا صحيح إلى وقت ليس ببعيد. ولكن قوله الآخر:

«وقد اختفت هذه الجزيرة، وطغى عليها البحر، فلا يوجد لها أثر».

غير صحيح، ومع ذلك فهذان القولان يدعمان الرأي الذي نذهب إليه هنا من ضالة مكانتها، لولا تحديدها الجغرافي فقط، وبالتالي يؤازر النتيجة التي تجعل إنتاج التمور وتصديرها خاصاً بهجر وحدها، وفيها (حوار) (الحليلة).

ويلفت النظر في قولِي ياقوت:

«فيها قرى كثيرة»، وهذا ما لا يكون على أرض (حُوار) الجزيرة، وكان ياقوت يتحدث كثيراً عن (حوار) التي وردت في قول عمارة بن عقيل، والتي تصحفت إلى (الجيار)، والتي اتضح لنا أن المقصود بها منطقة النخيل بهجر، حذاء (جواثي)، فصحيح ذكر موقعها هنا، وليس بصحيح وصفها هذا، وإلا لكان لها شأن في التاريخ والأدب، كما (أوال) على الأقل.

(1) المصدر نفسه، (شُقار).

وانظر، فضل بن عمار العماري، مجلة الواحة، ع62، س17 (صيف 2011م) صص9 - 16. ففيه عدم توضيح للفكرة بشكل جلي.

سماهيح

جاء تعريفها على أنها:

«بالبحرين، لعبد القيس، وكذلك جواثى»⁽¹⁾.

«قرية على جانب البحرين، ومن جواثى»⁽²⁾.

وسبق أن رأينا كثير عزة يقول:

نواعم عُمَّ على مِثْب
عِظام الجُذوع أُحِلَّت بُعَاثَا
كُدْهُم الرُّكَّاب بِأثْقَالِهَا
غَدَت من سَماهيح أو من جُواثى

وهذا هو تعريف القدماء، يربطون بين المتداول عن (سماهيح) وما فيه علاقة لها بـ (جواثى)، فهي (من جواثى)، فالصورة غائمة، وليست واضحة عندهم، وباستثناء قول البكري «قرية على جانب البحرين»، فإن هذا لا يزيل الالتباس، إذ إن التعريف المتداول عن (سماهيح)، هو قول ياقوت:

«سماهيح: اسم جزيرة في وسط البحر، بين عُمان والبحرين»⁽³⁾.

وجاء في التاج:

«سماهيح: جزيرة في البحر تدعى بالفارسية: ماش ما هي، فعربتها

العرب»⁽⁴⁾.

وفي مثل هذا يقول الجاسر:

(1) البكري، معجم ما استعجم، (مِثْب).

(2) ياقوت، معجم البلدان، (سماهيح).

(3) المصدر نفسه.

(4) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: مط الخيرية، ط1، 1306هـ) (سمهج).

«يظهر أن سماهيج هي ما يعرف الآن باسم: جزيرة المحرق... لأن الجانب الشرقي من جزيرة المحرق لا يزال معروفاً باسم: سماهيج، واسم المحرق لم يكن معروفاً عند الأقدمين لهذه الجزيرة. قول البكري إن سماهيج لعبد القيس، لعله استنتجه استنتاجاً، من كون كثير ذكرها مع جواثا، وهذه لعبد القيس، لأن جزيرة أوال كانت لبكر وائل، وسماهيج من أوال».⁽¹⁾

وهكذا، استقرّ في الأذهان أن (سماهيج) هي (المحرق)، على الرغم من تباين التعريفات السابقة. وهذا لا يمكن إطلاقاً، ف(سماهيج) التي في البحرين المعاصرة، تقع في جزيرة المحرق، وهي جزيرة صغيرة -وهكذا، لو كانت في جزيرة غيرها، أو حتى لو أن اسم المحرق: (سماهيج) - كانت مفصولة عن جزيرة المنامة الكبيرة، يفصلها البحر، و(سماهيج) الآن قرية صغيرة في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة المحرق، المحدود المساحة، ولا يمكن أن تأخذ شكل صورة الضعائن، متنقلة في البراري، قاطعة مسافات بعيدة، وراحلة عن موطنها «غدت»، محمّلة بالبضائع «التمور - خاصة»، وكأنها راحلة من تلك القرية الصغيرة التي لا تتيح مجالاً لتحرك الإبل، ذات الأحمال الثقيل، وقد خصّها باللون المناسب للإبل التي يُحمَل عليها، أي: السود، الغلاظ، الكبيرة الأحجام «كدهم الرّكاب» في أرجاء تلك الجزيرة الصغيرة، المحرق. بل أيّ تمرّ يُجلب من (سماهيج) (المحرق)، وتُمرّ البحرين عامة غير قابل للتخزين والتصدير، وليس بها تلك الكميات الضخمة التي تنقلها الإبل إلى أماكن بعيدة؛ والتمرّ عموماً -على مدار التاريخ- إنما يُصدّر من الأحساء، كما هو ذكر قرينتها (جواثا) هنا؟! وإذا كانت (المحرق) هي (سماهيج)، فأين ستذهب الإبل؟ بل كيف كانت تُنقل تلك الإبل بعد عبورها من (المحرق) إلى جزيرة المنامة، حتى تُوصَل إلى

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، حاشية ص 868 - 869.

(العقير)، ميناء الأحساء؟ وما الجدوى الاقتصادية من ذلك التمر؟ وتدل المقارنة بين تحرك الإبل من (جواثى) -مدينة الخط- شرق قرية الكلابية، على أن (سماهيج) في الجهة المجاورة من الأحساء، وحيث إن الإبل تتحرك من مكان ذي شهرة في الأحساء، فإن الإبل في الجهة الأخرى تتحرك من مكان ذي شهرة في المنطقة نفسها، ويدل الاتجاهان على أن (سماهيج) تقع في شرق (المُبَرِّز)، وكانت أن اندثرت، وتلاشى اسمها؛ ولولا أن (جواثى) كان لها ارتباط تاريخي بمسجد (جواثى) هناك، لآل مصيرها إلى مثل ما آل إليه مصير (سماهيج). ولا غرابة أن نجد أسماء مشتركة بين العضوين المتقاربين: الأحساء -بل القطيف أيضاً- و(أوال) (البحرين المعاصرة)، فهناك مثلاً نجد (سنابس) في جزيرة المنامة، كما نجد (سنابس) في تاروت، ونجد (الجش) في الأحساء و(الجش) في القطيف.

أما الزعم بأن البكري استنتج ذلك استنتاجاً من قول كثير، فليت الجاسر وافقه على هذا الاستنتاج، إن كان استنتاجاً، مع معقوليته، بل حتميته، كما مرّ، وليس البكري وحده هو الذي قال هذا، بل حتى ياقوت قاله، ألم يقل ياقوت:

«على جانب من البحرين»؟

فهو لا يقصد (أوال) بالطبع؛ لأن (أوال) كانت معروفة لديه، وإنما يقصد ما قصده البكري، أي: في جهة البحرين القديمة، بما يعني منطقة الأحساء، لقد قال ياقوت بصريح العبارة:

«قرية على جانب البحرين، ومن جواثا».

والبكري عندما قال:

«سماهيج... لعبد القيس، وكذلك: جواثا»،

لم يقل هذا عبثاً، وإنما قال ما قاله وهو يعنيه، أي: أن (سماهيح)، في جهة (جواثا)، وأنهما كلتيهما (لعبد القيس).

وعلينا التدقيق مرة أخرى في قول ياقوت، عدا البكري:
«سماهيح: قرية على جانب البحرين، ومن جواثي».

فما معنى قوله: «ومن جواثي»؟ ألا يعني ذلك التلازم بين الموضعين: (جواثي) و(سماهيح)؟ ثم ما معنى قوله الأول: «على جانب البحرين»؟ لم لم يقل على جانب (أوال) مثلاً؟ والبكري عندما قال: «سماهيح لعبد القيس»، لم يقل هذا عبثاً، وإنما قال ما قاله، وهو يعنيه، أي: (سماهيح) في جهة (جواثي)، فكلتا هما لعبد القيس، إنهما (من البحرين) (قديمًا)، أي: الأحساء هنا، وإنها: «من جواثا»، أي: قريبة منها. وكلتا هما يتعان (شرقي قرية الكلابية)، أي: شرقي الأحساء.

أما قول الجاسر في حاشيته:

«كلمة ومن (جواثي) لا محل لها هنا، فسماهيح بعيدة عن جواثي، إذ هي في البحر، وجواثي في واحة الأحساء»،⁽¹⁾ فهو قول من يتمسك بـ(سماهيح) المعروفة، مع أن قول كثير نفسه يحمل ذلك المعنى: «غدت من سماهيح أو من جواثي»، أي: أن الموضعين متلاصقان متجاوران، ومنها تنطلق تجارة التمور، وتمور هجر مشهورة منذ قديم الزمان، والذي هو جدير بالملاحظة أن موضع تصدير التمور في البحرين القديمة هو هجر، وبخاصة تلك التمور التي تشتهر بها منطقة الأحساء؛ لأن تمور الساحل -والبحرين (أوال)، ومنها (سماهيح) بها- تتأثر بالرطوبة!

(1) المرجع نفسه، حاشية ص 867.

الصورة الشعرية لـ (سماهيح)

إذن، فهذه التي في شرقي الأحساء، هي التي يقول فيها أبو دؤاد الإيادي في إبله:

فإذا أقبلت تقول إكام
مُشرفات فوق الإكام إكام
وإذا أعرضت تقول قصور
من سماهيح فوقها آطام⁽¹⁾

إننا أمام صورة شبيهة بصورة كثير عزة من واقع وصف الإبل بالضخامة والجسامة، غير أن أبا دؤاد الذي سبق كثيراً بزمن طويل، يقدم صورة جليّة للموقع، مركّزاً على مفردة (الإكام) - جمع أكمة - أي: المرتفعة والعالية الصعبة من الأرض من جميع جوانبها، وهو يحدثنا عن (سماهيح) ذات الآطام، أي: الحصون، القصور. أي: أننا أمام موقع أثريّ قديم، بات منذ أمد طويل تحت الأرض، أي: تلك القصور المشيّدة والحصون المنيعة هنالك. فالأحساء - ذات الامتداد الجغرافي - هي التي تحتل هذا الوصف؛ ففيها يمكن أن تكون قصور، جوانبها مرتفعة، و(آطام) (أي: حصون). وما ذكرى (جواثي) إلا بعضٌ من تاريخها العريق، وليست تلك القرية في جزيرة المحرق؛ فجزيرة المحرق منخفضة، وتخلو تماماً من المرتفعات لإقامة (الآطام)، وإنما تنتشر المرتفعات في شمال شرق (المبرز)، أي: شمال (جواثي)؛ فالقصور على وهاد من الأرض، وهي قصور كثيرة، لا قصرٌ واحد، وحواليها (الآطام). وإذا كانت آثار (جواثي) اندثرت - على قيمة

(1) أبو دؤاد الإيادي، شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الشعر العربي، تأليف: غوستاف فون غرونباوم، ترجمة: إحسان عباس وآخرون (بيروت: مكتبة الحياة، 1959م) ص 339. وانظر، ابن منظور، اللسان، (سماهيح).

المسجد بها - فما بالك بـ (سماهيح)؟ إن الصورة عتيقة جداً. وشيئاً فشيئاً اختفت آثارها البارزة، وتحولت إلى قرية زراعية، حالها كحال (جواثي)، كما وصفوها بعد ذلك بأنها (قرية)، ومن هذه القرية تأتي التمور. ولم يُعدّ لـ (سماهيح) هذه ذكر بعد حين. ويصدق قول محققي ديوان ابن مقرب على (سماهيح) هذه حين قالوا:

«يبدو من شعر كثير عزة أنها كانت مدينة عامرة في وقته، ومشهورة بالتجارة».⁽¹⁾

ولكنه لا يصدق إطلاقاً على ما يسعون إلى إثباته من أن كثيراً قصد تلك التي بالمرق - وهم أدري من سواهم بكل ما يتعلق بالتمر والحمولة والطبيعة -؛ فأولاً: إن هذا غير معقول من الناحية الجغرافية، وثانياً: إن إنتاج هذا الجزء من (المرق) - أو هو في الحقيقة (المرق) بكاملها في ذلك الزمان - وهو الجزء المثمر فقط، - إذ لا توجد عيون ماء إلا به - لا يشكّل أبداً تلك الصورة كدهم الركاب بأثقالها»، مع مشابهة الصورة قبلها:

نواعمٌ عُمٌّ على ميثب
عظام الجذوع أُحِلَّتْ بُعَاثَا

هذا فيما يخصّ (سماهيح) البحرين، أما (سماهيح) الأحساء، فهي التي ينطبق عليها ذلك، ومنها تنطلق القوافل. وبالتأكيد، فإن كثير عزة ينقل صورة عتيقة، متوارثة، من صور الشعر العربي المشتركة، حيث لم يُعدّ لـ (سماهيح) الأحساء وجود، وبقي ذكرها مخزوناً في الذاكرة الأدبية، بينما ظلت (جواثي) حتى العهد الإسلامي، وقُدِّر لها أن تبقى لما لها من إشارة إسلامية، إذ لم يرد لـ (سماهيح) هجر ذكر في المصادر الإسلامية المبكرة

(1) علي بن المقرب العيوني، ديوان ابن مقرب، تحقيق: عبد الخالق عبد الجليل الجنوبي وآخرون (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، 1424هـ/2003م) ج2، حاشية ص1292.

في أثناء الفتوح الإسلامية. ويدل وصف أبي دؤاد على مبان شاهقة وعمران، كتلك التي تحدثوا عنها في وصف حصني (المشقر) و(الصفاء) مثلاً. وهي آثار تعكس حضارة نشأت يوماً ما على سفوح تلك الآكام، وفي أرجائها، ولكنها حضارة غائرة في التاريخ البعيد. وبالتأكيد، فأبو دؤاد الإيادي -وهو شاعر ليس قديماً جداً (ت500م)، والذي لم يتصل بالمنطقة- كان ينقل، كذلك، الصورة التذكارية أيضاً من موروث أسبق منه، وصورة أبي دؤاد تقترب كثيراً من صورة كثير عزّة في التشبيه، وتعميق التشبيه بما يبدو مماثلاً له.

إن قول الجاسر السابق الذي مضى:

«قول البكري إن سماهيج لعبد القيس، لعله استنتجه استنتاجاً، من كون كثير ذكرها مع جواثا»،

صحيح كل الصحة، وسبق أن قلنا: ليت الجاسر قبل هذا الاستنتاج؛ لأن العلماء القدامى كالبكري وياقوت، وأضرابهما لا عهد لهم بهذا الجزء من الجزيرة العربية، وإنما ينقلون ممّا هو متّاح بين أيديهم من مصادر أقدم منهم، والبكري بالذات كثيراً ما يبيدي رأياً في مثل هذه المسائل، فيصيب فيها ويخطئ، إلا أن استنتاجه هنا وافق كل الموافقة الموضع موقِعاً وطبيعة، وفات الجاسر -كما فات محققي ديوان ابن مقرب- التمييز بين الموضعين: (سماهيج) الدائرة في الأحساء، و(سماهيج) العامرة بالبحرق.

وبعد، فإذا أردنا تعيين موقع (سماهيج) الأثرية في ناحية (الخط) -ذلك أن الساحل لا يحتمل الآطام والقصور- ومن (جواثى) فإن موقعها هو جهة شقيقتها (جواثى)، تحت آكام (كنزان)، ف(كنزان)، كما يحدده الجاسر: «كنزان: يقع في الشمال الشرقي من موقع جواثى، البلدة القديمة، وهو آكام

ممتدة (جال)، يشاهد من جبل القارة وما حوله، شمال جبل القارة⁽¹⁾.
فالقصور تتربع وسط القرية الأثرية المندثرة الآن، كما اندثرت آثارها،
وتطل عليها من أكامه (الآطام).

إن وصف أبي دؤاد الإيادي، وقول كثير، والربط بين (جواثي) و(سماهيح)،
أي: قولهم: «سماهيح قرية على جانب البحرين، ومن جواثي»، لبراهين
كافية على موقع هذه القرية الأثرية - أو ما أسماه محققو ديوان ابن مقرب
(المدينة) - وما بقاء هذه الآكام إلا دليل آخر على أن أبا دؤاد الإيادي تحدث
عما هو مسموع في الشعر أو الأخبار السابقة عليه، أو أنه جاء من نقل
جمعي، من واقع كان موجوداً ذات يوم.

موقع (سماهيح)

وهي التي يقول فيها الراجز، مبيناً كونها في جهة الخط:

يا دار سلمى بين ذات العوج

جرت عليه كل ريح سيهوج

هوجاء جاءت من جبال ياجوج

من عن يمين الخط أو سماهيح⁽²⁾

وواضح من الصورة أن الرياح قادمة من الشمال الشرقي من جبال
(ياجوج)، أي: بلاد فارس وما وراءها، وهنا لدينا موضعان ذوا شهرة،
ومتقاربان، وهما:

(الخط): الساحل الشرقي حتى (العقير)، بل حتى (قطر).

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1514. وانظر، ج1، ص429.

(2) ابن منظور، اللسان، (سمهج).

و(سماهيح) بمحاذاته، في جهة ليست بعيدة عن (العقير)، والرياح متجهة نحو الجنوب الغربي، حيث (ذات العوج)؛ ولهذا تلازم الموضعان (الخط) و(سماهيح):

يا دار سلمى بين ذات العوج

جرت عليه كل ريح سيهوج

وهذا صحيح، كما سنتبين، ولكنه لا ينطبق على هذه التي بالأحساء. وأمر آخر، وهو أن هذا الرجز قديم، وقائله رجل من بني سعد، سعد تميم⁽¹⁾، الذين يسكنون الرمال: الربع الخالي والدهناء، وهذا واضح من وصف الأطلال هنا، ثم إنه يتحدث عن معرفة بالأرض، في (الخط) والأحساء، وليس عن تلك الجزيرة النائية في البحر، والتي لم يعرفها، على تلك الصفة، ودليله اقتران (الخط) و(سماهيح)، بالأحساء عنده.

علاقة بكر بن وائل بـ(أوال) والساحل الشرقي للبحرين (القديمة)

إن في كلام الجاسر السابق ما يستوجب التوقف، فهو يقول:

«جواثي: وهذه لعبد القيس؛ لأن جزيرة أوال كانت لبكر بن وائل».

وليس في التاريخ أن بكر بن وائل كانت في (أوال)؛ ذلك أن بكر بن وائل ظلت متبدية، نائية عن مناطق الحاضرة إلى فترة قبيل الإسلام، وكانت منتشرة في المناطق المتاخمة للأحساء والقطيف، تتقدم رويداً رويداً؛ أما سكان البحرين من الحاضرة، فكانوا عبد القيس، تخالطهم تميم، وأخلطت كثيرة من الغرباء عن المنطقة، وكانت (أوال) بالذات لعبد القيس، وأخلطت كثيرة من تميم.

(1) المصدر نفسه.

لقد حاولت بكر أن تتقدم نحو حجر، لقيمتها الاقتصادية، غير أن عبد القيس تصدت لها، وأبعدتها عن أراضيها الزراعية في الأحساء خاصة، وسائر البلاد الساحلية، يقول عمرو بن أسوى الليثي، من عبد القيس، وفي هذا تأكيد على بداوة بكر، وبقائها في الدهناء والصمان، كما يذكر هنا (نطاع) التي جاء محرفة (وقاع):

شَحَطْنَا إِيَادَاً عَنْ (وقاع) فَقَلَّصْتُ

وبكرًا نَفِينَا عَنْ حِيَاضِ الْمُشَقَّرِ⁽¹⁾

ويقول الأعشى، مبيّنًا عدم تمكن بكر من دخول الأحساء، وتمكنهم من نهب القطيف:

فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ وَالصَّفَا

فَإِنَّا وَجَدْنَا الْخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا⁽²⁾

أما التسمية: (أوال)، فليست مقرونة ببكر بن وائل، وإن كان الصنم لها، فهناك (أوال) مكان آخر أيضاً، قال عنه الهمداني:

«أوال الحجازية: أيمن من السويداء، فإذا جاء حاجّ مصر من السويداء إلى المدينة، مال إلى أوال، ثم خرجوا منها إلى السيّالة، وبأوال هذه نخل»⁽³⁾. وقال البكري:

«كان اسم صنعاء: أوال، في سالف الدهر».

وجاءت مصحفة عند البكري:

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص81.

(2) ميمون بن قيس، الأعشى، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين (القاهرة: مطب النمذجية، 1950م) ص117.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص274.

(أزال)⁽¹⁾

ولم يكن هذا المكان لبكر بن وائل، وكثير من المعبودات الخاصة بقبيلة ما وجدت في مكان غير مكان القبيلة التي ينتمي إليها؛ فهذا (المحرق) -وهو اسم لمدينة المحرق الآن بالبحرين المعاصرة- ليس فيها، وإنما بعيد جداً عنها، يقول ياقوت:

«المحرق: صنم بسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعة».⁽²⁾
أي: في شمال الجزيرة العربية.

علاقة (سماهيج) - أوال بالنصرانية

سبق أن قال البكري:

«سماهيج: لعبد القيس».

وعبد القيس لم تكن في (سماهيج)، الجزيرة عند ظهور الإسلام، بل كانت (سماهيج) مركزاً نصرانياً فقط، وكان مركزها ذاك مرموقاً، يصل إلى درجة التقديس، ودليله ذلك التجمع الكنسي المكثف بها، ففي (سماهيج): (الدير) و(قلالي)، وكانت تنتشر بها الصوامع، وتقوم فيها كنيسة -أو كنائس- وفيها مخازن للمؤمن والحبوب والثمار، والتمور، وغُرَف لمساكن الرهبان... ولابد أن الرهبان اعتنوا عناية كبيرة بالحقول والبساتين للترفيه عن أنفسهم. كما كان يوجد بها مرافق صحية. لقد كانت (سماهيج) تعج بالحياة الدينية، وهي حياة هادئة، وديعة، منعزلة، تأملية، مسالمة،⁽³⁾ بعيدة كل البعد عن التجارة وتشديد القصور وإقامة الحصون والأسوار، التي

(1) البكري، معجم ما استعجم، (صنعاء).

(2) ياقوت، معجم البلدان، (البحرين).

(3) J. Spencer, Trimmingham, Christianity Among the Arabs, (MASHMAHIG) in Pre- Islamic Times (London: William Clows & Sons Ltd., 1979) p. 280.

لا تحتاجها (سماهيح) المحرق أصلاً. واللافت في الأشعار التي ذكرت (سماهيح) أنها لم تذكر شيئاً عن تلك الأجواء الدينية على امتدادها، فلم يذكروا النواقيس، ولا صياح الديكة، ولا الراهب، ولا الكنيسة، بينما لم يغفلوا مثل هذه الأمور في أحاديثهم عن المواضع التي انتشرت النصرانية بها، وهذا أمر يُحيل كل شعر في (سماهيح) إلى (سماهيح) هجر. ولا يعيننا بعد ذلك أمر (سماهيح) بالمحرق.

الشبعان (جبل قارة)

مشكلة شعر ابن أحمر

قال ابن أحمر:

أبا الشبعان بعدك حَرَّ نَجْدٍ
وَأَبْطَحَ بَطْنُ مَكَّةَ حَيْثُ غَارَا
وذلك من القصيدة المنسوبة إليه:

ألم تسأل بفاضحة الديارا

متى حَلَّ الجميع بها وسارا⁽¹⁾

وظاهر القصيدة أنها ليست له، فالأمكنة المذكورة فيها أمكنة مفككة، وهي تشير إلى جهة الدهناء، أي: إلى قائل من تميم. ويُعْضَدُ هذا الرأي أن ياقوتا يذكر بعد البيت الأول بيتين آخرين، منسوبين إلى ابن أحمر:

(1) عمرو بن أحمر الباهلي، شعر ابن أحمر، تحقيق: حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د - ت) ص 72 - 78.

أبا الشبَّعان.....

.....

سَلُّوا قحطان أَيُّ ابني نِزار

أتى قحطان يَلتمس الجِوارا

فخالفهم وخالف عن مَعَدٍّ

ونارُ الحرب تستعر استعاراً⁽¹⁾

وهذه طريقة في الخطاب لا تستقيم مع اللغة التي يستخدمها ابن أحمـر. إضافة إلى

ما جاء في القصيدة من تهديد قومه، ووعيدهم له، وهذا ما لم يقع مع ابن أحمـر، وإنما جاء التهديد من غيرهم. فالقصيدة، من ثم، ليست لابن أحمـر، وإنما لغيره، سماه ياقوت: ابن حمراء. وهذا ما جعل العبودي يقول: «أبرق فضيحة: أبرق مستطيل إلى الشرق والغرب يقع إلى الغرب الجنوبي من مسكة حوالي 6 كم... في حمى ضرية، غرب القصيم... الظاهر أن التسمية من فاضحة القديم... هو وادي بني سليم... وابن أحمـر هو عمرو بن أحمـر الباهلي، وشعره في أن يكون في فاضحة الواقعة في حمى ضرية، على مقربة من ديار باهلة أخرى أن يكون في مكان لبني سليم»⁽²⁾.

وقول العبودي هذا في تقريب (فاضحة) من (فضيحة) غير صحيح هو أيضاً، فليست ديار باهلة قريبة من (ضرية) بل بعيدة عنها، والمواقع التي

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبَّعان).

(2) محمد بن ناصر العبودي، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ) ج 1، ص 269 - 270. وانظر، أبا علي، هارون بن زكريا الهجري، أبحاث الهجري، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1388هـ/1968م) ص 254 - 255؛ البكري، معجم ما استعجم، (فاضحة)؛ ج 3، ص 863 - 864؛ ياقوت، معجم البلدان، (فاضحة).

يذكرها ابن أحمر كلها تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من عالية نجد حتى حدود نجران، فأين (ضرية) منها؟ وعليها ألا نكرر القول: إن الشاعر يضع من الأسماء كيفما شاء؛ فالشاعر القديم كان ملتزماً التزاماً تاماً بما يرتبط به ارتباطاً قلبياً ونفسياً، إلا أن يكون لمجرد التمثيل والتداول، ومن هنا، فلا علاقة لابن أحمر ببني سليم.

الشبعان بهجر / جبل (القارة)

على أن ياقوتاً قال:

«الشبعان: جبل بالبحرين، يتبرد بكهافه».⁽¹⁾

ويقول آل عبد القادر:

«هو الجبل المعروف الآن في الأحساء ب: جبل القارة، وسُمِّي الشبعان لكونه في وسط النخيل، قد طوقته النخيل والأنهار من جميع جوانبه وفيه مغارات واسعة مرتفعة باردة في أيام الصيف».⁽²⁾

وقال الجاسر:

«لا تزال كلمة الشبعان تطلق على الجبل المعروف باسم القارة تقدر مساحة الجبل بما يقارب 2 كم طولاً في عرض 1 كم، وارتفاعه نحو 1 كم أيضاً. ويقع في الشمال الشرقي من الهفوف على نحو 20 كم. ويُعرف الجبل أيضاً باسم الشبعان».⁽³⁾

فاذا نظرنا في البيت المذكور، وكما يصفه ياقوت هنا، على أنه الذي بالبحرين، نجد (الشبعان) فاعل الفعل (أبا)، التي رُسِمت خطأ بالألف

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبعان).

(2) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص 17.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج 4، ص 1382 - 1383.

اللينة، وحققها أن ترسم بالألف المقصورة، من الفعل المضارع يأبى، كما نجد: (وأبطح بطن مكة)، معطوفاً على الفاعل (الشبعان)، فكلاهما يأتيان في نسق واحد، (وأبطح مكة) معلومة؛ وعليه، فالمعطوف يجب أن يكون في تلك الجهة المعلومة، أي: في مكة، ومن جبالها.

مشكلة (الشبعان) في قول عدي بن زيد

يقول عدي بن زيد:

تَزَوَّدَ مِنَ الشَّبْعَانِ خَلْفَكَ نَظْرَةً

فإن بلاد الجوع حيث تميم⁽¹⁾

وهو بيت مفرد في شعره، منقول عن ياقوت، وضبط المحقق همزة (إن) بالفتح، خلافاً لما جاء عند ياقوت. وعلى كل حال، فما علاقة عدي بن زيد بـ (الشبعان): في البحرين، (جبل قارة)، في الأحساء؟ فعدي لم يأت قط إلى هذه الأرض حتى (يتبرد بكهاف جبله)، سواء كان (جبل قارة) هو (الشبعان) أو لم يكن. بل إن تميماً لم تكن تعمر هذه الأرض في ذلك الزمان، في الجاهلية وكان (الشبعان) (القارة) لبني محارب من عبد القيس حتى القرن الثالث الهجري.⁽²⁾ أما تميم، ففي غرب الأحساء، في البادية التي كانت عبد القيس أيضاً في ذلك العصر تحتل أطرافه. وإضافة إلى هذا، فهذه الأرض الموصوفة في التاريخ بالخير والعتاء والخصب والخضرة، ليست: (بلاد الجوع).

وليكن «الشبعان: جبل بالبحرين»، فلن يكون إلا جيباً بعيداً عن الأحساء. ومع ذلك، فالبيت لن يصح لعدي بن زيد، فعدي أكثر ارتباطاً بغرب الحفر

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الشبعان).

(2) انظر، ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، ص1231.

-حضر الباطن- وبنواحي ضرية، وهو محبّ لهما، وغير ناقم عليهما، ولن يقول عنهما مع ذلك،
(بلاد جوع).

وأمر آخر يؤكد أن عدياً -والمناذرة بشكل عام- لم يكونوا يأتون إلى هذه المنطقة للاستجمام أن الحامية الفارسية في (هجر) كانت لا تتدخل في شؤون البدو، بل كانوا يستنجدون بجيوش المناذرة لكبح أي تمرد، وحادثة يوم (الصفقة) شاهدة على هذا.⁽¹⁾ وثبت كذلك أن تميماً قبيل الإسلام، كانت خارج الأحساء، وإنما تأتي للامتيار فقط.

فإذا لم يصح أن يكون (الشبعان) في قول عديّ بن زيد هو جبل (القارة)، فإنه -بالتالي- لا يصح عليه قوله الآخر:

وَالدُّهْمُ شُعْتُ الدُّرَى سَوْدَاءُ تُشَبِّهُهَا

مِمَّا وَنَى مِنْ صَفَا شَبْعَانَ جَبَّاراً⁽²⁾

فهذه صفة الجبال العالية الضخمة السوداء، بما يتوافق مع القول المنسوب لا بن أحمر، على أنه بمكة، أي: من جبال الحجاز، وقد كرّر عديّ الاسم.

الخلط في النسبة

أوهم ياقوت عندما أدرج (الصفاء) في قول امرئ القيس ضمن ما أدرج، فقال:

«الصفاء: نهر بالبحرين - (هجر-الأحساء) - يتخلّج من عين محلم».

(1) انظر، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، 1380هـ، 1965م) ج 1، ص 620 - 621.

(2) عدي بن زيد العبادي، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار الميبيد (بغداد: دار الجمهورية، 1965م) ص 55.

يقول امرؤ القيس:

فصفا الأطيع فصاحتين فعاسم

تمشي النعام به مع الأرام⁽¹⁾

ف(الأطيع): جبل يأتي إلى جانب (صاحتين): جنوب وادي (الركا)، الواقع شمال هضبة الدواسر، و(الصفاء): نهر جارٍ تحته، وكلها في منطقة واحدة - تضم (عمایتين)، وليس مثلما قال كذلك: القارة: قال أبو المنذر: جُبيل بنته العجم بالقُفر والقيَر، وهو جبل بالبحرين، فيما بين الأطيع و(الشبعا). .

حتى إن ياقوتاً يتشكك في نسبة المثل:

«قد انصف القارة من رامها»

إلى جبل (قارة)؛ لأن ابن الكلبي يقول غير ذلك.⁽²⁾

الشبعان / جبل القارة في الأحساء

يقول محققو ديوان ابن مقرب:

«الشبعان: هو الجبل المعروف اليوم بجبل القارة نسبة إلى أكبر القرى المحيطة به، وما زال بعض كبار السن من أهالي القرى المحيطة بهذا الجبل العظيم يعرفونه باسمه القديم الشبعان. وهو غير الجبيل الصغير الذي يقع بالقرب من عين باهلة شرقي الهضوف والمعروف حتى اليوم باسم الشبعان فذلك الجبيل هو المعروف قديماً باسم الشبعاء بالهمزة في آخره وليس النون. والشبعاء هذه ذكرها أبو منذر هشام بن محمد الكلبي وقال: إن جبل

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الصفاء).

(2) المصدر السابق، (القارة).

القارة يقع بينها وبين الأطيط. ولكن جبل القارة الذي يعنيه هشام ليس هو أيضاً الجبل المعروف الآن بنفس الاسم والذي يُسمى الشبعان قديماً بل هو جبيل صغير يقع وسط قرية القارة ويسمى الآن

بـ(رأس القارة) والذي كان يقوم عليه حصن المشقر⁽¹⁾.

وهذا قول يحاول أن يجعل (الصفنا) هو (نهر سليس)، و(عين الحارة) هي (عين محلم)، لتقريب النهر بـ(المشقر) إذ ما معنى قولهم:

«الشبعان: هو الجبل المعروف اليوم بجبل القارة. وما زال بعض كبار السن من أهالي القرى المحيطة بهذا الجبل العظيم يعرفونه باسمه القديم الشبعان».

وقولهم أيضاً:

«الشبعان: الجبيل الصغير الذي يقع بالقرب من عين باهلة شرقي الهفوف والمعروف حتى اليوم باسم الشبعان فذلك الجبيل هو المعروف قديماً باسم الشبعاء بالهمزة في آخره وليس النون. والشبعاء هذه ذكرها أبو منذر هشام بن محمد الكلبي فقال: إن جبل قارة يقع بينها وبين الأطيط».

وكذلك قولهم:

(جبل القارة): الذي يعنيه هشام ليس هو أيضاً الجبل المعروف الآن بنفس الاسم والذي يسمى الشبعان قديماً بل هو جبيل صغير يقع وسط قرية القارة يسمى الآن بـ(رأس القارة) والذي كان يقوم عليه حصن المشقر.

لقد جرى هؤلاء المحققون ياقوتاً؛ نتيجة إدراج ياقوت (الصفنا) في قول امرئ القيس في رسم (الصفنا) في معجمه، فكان لدينا ثلاثة مواضع:

1- (القارة) - (الشبعان)،

(1) ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، حاشية ص1231.

2- (الشبعاء) - (الشبعان)،

3- (الشبعان) - (رأس القارة).

أما (الشبعان)، فقد وضع أنه (جبل القارة)، وأما (الشبعاء)، فهو- كما لاحظ الجاسر: «كلمة (الشبعاء) لعل صوابها الشبعان».⁽¹⁾ وليس هناك داع للاحتياط بـ(لعل)، فهي مصحفة حقيقة. وياقوت يقدم وصفين لـ(قارة) كليهما واحد، فيقول:

1- (القارة: جبل مستدق، ملموم في السماء، لا يقود في الأرض، كأنه جثوة، وهو عظيم مستدير: جبل بالبحرين).⁽²⁾

2- (أبو منذر: القارة جبل بنته العجم بالقفر والقيصر، وهو فيما بين الأطيط والشبعاء، في فلاة من الأرض).

وفي هذه الوصف الثاني يأتي التداخل، وقد تبينا دليله من شعر امرئ القيس الذي جاء منه الوصف، يقول آل عبد القادر:

«القارة: قرية القارة من القرى القديمة في سفح جبل الشبعان، ويعرف الآن بجبل القارة».⁽³⁾

ومع أن ياقوتاً صنّف (أطيط) في قول امرئ القيس السابق على أنه في الأحساء -وهذا غير صحيح- فإن آل عبد القادر يقول آخذاً بتقارب الرسم (أطيط) / (الشطيط):

«الشطيط والشبعان موضعان معروفان الآن بالأحساء».⁽⁴⁾

ومهما يكن، فإن هذا هو الفهم الصحيح والمباشر، فيما يخص (الشبعان)،

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1382.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (القارة).

(3) آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ص39.

(4) المرجع نفسه، ص32.

فهناك موضعان باسم (الشبعان) في الأحساء هما: (الشبعان) - (القارة)، وهو ذو الشهرة. و(الشبعان): شرقي الهفوف. ومن الغريب أن نجد تسميتين مختلفتين لموضع واحد في الأدبيات القديمة، ويبدو أن الاسم القديم الأول كان (الشبعان)، ثم تدرج الأمر إلى أن سُمي (القارة).

عطالة في نجد، وليست في الأحساء، تصحيف (عماية)

والأكثر غرابة أن نجد البكري يقول:
«المُشَقَّر: بالبحرين مدينة عظيمة، قديمة، في وسطها قلعة، على قارة تُسمَّى: عَطالة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها: نقصانها»⁽¹⁾ ويقول ياقوت:

«عَطالة: جبل بالبحرين، منيع، شامخ»⁽²⁾.

ويرى الجاسر:

(عَطالة): هي الجبل المعروف الآن باسم: القارة.⁽³⁾

والوصف الطبيعي لـ(القارة) لا يتوافق مع قول البكري السابق:
«تُسمَّى: (عطالة)، وفي أعلاه بئر يثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها: نقصانها».

بل لا يتوافق أيضاً مع كون:

(1) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(2) ياقوت، معجم ما استعجم، (عطالة).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1166.

(عَطالة): جبل بالبحرين، منيع، شامخ.

ف(القارة): «وسط النخيل، وقد طوقته النخيل والأنهار من جميع جوانبه... وفيه مغارات واسعة مرتفعة باردة في أيام الصيف». وتقدر مساحة الجبيل بما يقارب 2 كم طولاً في عرض 1 كم، وارتفاعه نحو 1 كم أيضاً. حتى إن الأزهري، وهو الأعلم بأرض البحرين، كما هو شائع، قال:

«رأيت بالسُّودَة، من ديارات بني سعد جبلاً مُنيَفاً يقال له: عطالة»،⁽¹⁾ مبتعداً بها عن الأحساء، ويبدو أن الأزهري على الرغم من ذلك، إنما ينقل من المصادر نفسها التي ينقل منها غيره، في استشهاده ببيت سويد بن أبي كاهل الآتي، وتأكيدَه على رؤية ذلك الجبل هناك، وهو مجرد اشتباه....

ويزيد الأمر يقيناً أنهم ربطوا بين سكنى الوعول و(عطالة)، وهذا مستحيل في أرض زراعية مأهولة. أما كونها: (عطالة): بالسودة، فإن الجاسر يقول، وهو ما يشكك في رؤية الأزهري:

«الجبال التي في السودة ليست منيفة أي مرتفعة كارتفاع الجبال العظيمة، بل هي آكام، وجبال صغيرة، وقُور ليست مرتفعة».⁽²⁾

إذن، فلنصرف النظر كلية عن البحرين، سودتها وأحسائها، ولنأمل في قول جرير الذي نُسب قوله إلى (عطالة) بها، يقول:

ولو عََلِقت خيل الزبير حباله

لكان كُناج في (عَطالة) أعصما⁽³⁾

ألا يتفق مع قوله:

(1) انظر، الأزهري، التهذيب، ج2، ص167.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1166.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (عطالة). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عطالة).

ولو أن عُصم عمايتين وَيَذُبُّل

سَمِعَا بِذِكْرِكَ أَنْزَلَا الْأَوْعَالَ؟⁽¹⁾

بل ألا يتفق مع قول لبيد قبله:

فَحَدَّرَ الْعُصْمَ مِنْ عَمَايَةِ لِسَّهْ

لِ وَقَضَى بِصَاحَةِ الْأَرْبَا؟⁽²⁾

أليست (عطالة) هي (عماية): (الحصاة)، التابعة للقويعية؟ وأليست هي (عماية) أيضاً في قول جرير:

وَحِفْتُكَ حَتَّى اسْتَنْزَلْتَنِي مَخَافَتِي

وَقَدْ حَالَ دُونِي مِنْ عَمَايَةِ نِيَقِ

وقد وقع ياقوت في خطأ في قول جرير هذا عندما قال، أخذاً عن السكري، شارح ديوان جرير:

«عماية: جبل معروف بالبحرين».⁽³⁾

فجعلها تارة (عطالة)، وتارة أخرى (عماية)، وليست هي إلا الثانية فقط. ومن هنا، فإن قول سويد بن كراع الذي رآه الأزهري في (عطالة): بالسودة، هو في (عماية) كذلك، وليس سواها:

خَلِيلِي قَوْمًا فِي (عَطَالَةِ) فَانْظُرَا

أَنَاراً (تري) مِنْ ذِي أَبَانَيْنِ أَمْ بَرَقَا؟⁽⁴⁾

وهو الخطأ نفسه الذي ذكره البكري حين قال:

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عماية). وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عمياتان).

(2) ابن ربيعة: شرح ديوان لبيد، ص30.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (عماية).

(4) المصدر نفسه، (عطالة).

(عَمَاية): جبل بـ(البحرين)، ضخـم؛ ولذلك قيل: أثقل من عَمَاية.

ويبدو أن العلماء كانوا يتناقلون من مصادر قديمة، فالهمداني يحدد (صفا الأَطيـط)، في قول امرئ القيس تحديداً صحيحاً، على أنها حذاء (عَمَاية) (الحصاة) ⁽¹⁾، إلا أنه يعود، فيذكرها، مضيفاً إليها مواضع أخرى، ويقول عنها كلها:

«مواضع من أرض البحرين» ⁽²⁾.

بل يأتي، ليقول:

(عَمَاية) وجواثي و(صاحتان وثعالة وأخرب وصاحـة كل) هذه مواضع بالبحرين ⁽³⁾.

فعلى حين أن (جواثي): من البحرين، فإن بقية المواضع ليست كذلك.

ولقد أدى ذلك التصحيف إلى التذبذب في التعريف بالمكان، فقال البكري:

«عَطالة: جبل عُمان» ⁽⁴⁾.

ونسب قول جرير إليها: «ولو علقت خيل الزبير...». كما رأيناها يقدم وصفاً لـ(المشقر) غير متناسب. ومن الواضح أن الصورة لم تكن جَلِيَّة لدى العلماء، فمع ربطهم (المشقر): بهجر، يجعلون كلا منهما في (اليمن)، فيقولون:

«الهجران: المشقر وعطالة: حصان باليمن» ⁽⁵⁾.

بل ذهبوا إلى أن:

(1) انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص296.

(2) المصدر نفسه، ص390.

(3) المصدر نفسه، ص330.

(4) البكري، معجم ما استعجم، (عطالة).

(5) ياقوت، معجم البلدان، (عطالة).

«عُطالة: هضبة مابين اليمامة والبحرين»⁽¹⁾.

ولم يكن ذلك التذبذب إلا جراء التصحيف، فكل الأوصاف السابقة لا تنطبق إلا على (عماية) (الحصاة)⁽²⁾.

وحيث تبيننا هذا، فإن الرسم الآخر الذي ذكره ياقوت: (عُطالة) بضم العين تصحيف أيضاً، فليس هناك إلا الفتح، وليس هناك إلا (عماية)، فد (عُطالة) اسم جاء نتيجة التصحيف. وانظر تأكيد الجاسر على أن (عماية) هي (حصاة قحطان)⁽³⁾.

ولا داعي -بعد- لذكر الأشعار في (عماية) (الحصاة)، إذ يكفي ما مرّ من قول جرير، واقتراها بـ (يذبل) (صبحا) في نجد:

ولو أن عُصم عمايتين ويذبل

سمعا بذكرِك أنزلا الأوعالا؟

وقول أحدهم:

إلى أن خلت أن أبا قبيس

وهضب عماية فرسارهان⁽⁴⁾

فهذا هو الوصف الحقيقي لـ (عماية)، ولا (عماية) في الأحساء، وإنما (الشبعان) / (القارة) فقط.

(1) المصدر نفسه.

(2) انظر سعد بن عبد الله بن جنيد، عالية نجد (القاهرة: مط نهضة مصر، 1398هـ/1978م) ج2، ص 827 - 829. وانظر عن (صاح)، ج1، ص 377 - 386.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص 1184 - 1185.

(4) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (القاهرة: دار المعارف، 1975م) ص 377.

عينين (عين أم سبعة)

يأتي تحديد (عينين) عند البكري على النحو التالي:

«قرية بالبحرين، كثيرة النخل».⁽¹⁾

كما قال، المصدر نفسه:

«مكان بِشَقِّ البحرين، كثير النخل».⁽²⁾

وقال الحازمي:

«ماء من مياه العرب، في ديار عبد القيس».⁽³⁾

أما التحديد المعاصر، فيراه:

«بلدة عينين: كانت معروفة بهذا الاسم إلى منتصف القرن الماضي، حيث

عُرِفَتْ: الجُبَيْل، شمال القطيف».⁽⁴⁾

وهذا القول غير صحيح إطلاقاً، ف(الجُبَيْل) كانت معروفة بهذا الاسم قبل

منتصف القرن الماضي، وظلت معروفة به حتى الآن. وتبين القصة التالية

حقيقة هذا الموضوع، قال ياقوت:

«أما يوم عينين: بالبحرين، فكانت بنو منقر بن عبد الله بن الحارث،

خرجوا مهتارين، فعرضت لهم بنو عبد القيس، فاستعانوا بني مجاشع،

فحمّوهم، حتى استقذوهم».⁽⁵⁾

وقال الهجري:

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

(2) المصدر نفسه، (يحموم).

(3) محمد بن موسى الحازمي، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1415هـ) ج2، ص707.

(4) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1245.

(5) ياقوت، معجم البلدان، (عينين).

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خُليد عِينين، الشاعر».

واستشهد على ذلك بقول الراجز:

يَتَبَعْنَ عَوْدًا قَالِيَا لَعِينِينَ

راحَ وقد مَلَّ⁽¹⁾ ثواء البحرين

وفي هذا الرجز دلالة واضحة على أن (عينين): في شِقِّ البحرين، أي: في أطرافها. ثم إن الجبيل ليس كثير النخل، كما وصفوه، بل فيه نخل قليل حالياً، وكان قبلاً أرضاً جرداء، لا يوجد بها سوى (بعض الشجيرات البرية)، ولا يمرُّ بها سوى البدو الرُّحْل الذي يأتون لها طلباً للماء من عيونها القريبة.⁽²⁾

وقولهم:

«بِشِقِّ البحرين»، يعني أن (عينين) من البحرين، وفي (شِقِّ): في طرفها، الملتصق بها، وهذا معنى (شِقِّ) في تعبيراتهم. ومسألة لها قيمة هنا، وهي أن عبد القيس قبل القرن الأول الهجري، عصر خُليد عِينين، ومع بدايات الإسلام، كانت قد انزاحت تماماً من أطراف الأحساء الغربية، أي: طرف السُّودة الجنوبية الشرقية حتى (عين دار)، ودخلت إلى حواضر الأحساء: ذكر ياقوت:

«هذه المواضع دون هجر، في بلاد بني سعد، وكانت قبل لعبد القيس».⁽³⁾

وذكر كذلك:

«صُلاصل: ماء لعامر بن جذيمة، من عبد القيس، في وادٍ يقال له: الجوف،

(1) الهجري، أبحاث الهجري، ص206. وانظر، ياقوت، معجم البلدان، (عينين).

(2) انظر، راشد سالم البوعيين، الجبيل (الجبيل: مطابع الصناعات المساندة، ط1، 1994م) ص14. وانظر، ص26.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الرمانتان).

به نخيل كثيرة ومزارع جمّة».⁽¹⁾

على أن الأمر يتجاوز ذلك التعميم مرة، والتخصيص مرة أخرى، إلى قول الهجري قبلاً:

«البحرين: بها عين هَجَر».

ولا مكان في المنطقة الشرقية معروف بأنه (هجر) سوى (الأحساء - الآن). ويأتي دليل آخر، تأكيداً على هذا، في قوله بعده:

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خليل عيين».

فإذن، (عيين): بهجر، بالأحساء، وهي بلد خليل عيين، ولا دخل للجبيل بها. على أن الجاسر يعلق على هذا، فيقول:

«وهذا غريب حقاً».⁽²⁾

وما الغرابة في ذلك؟ ألا إن الغرابة لتأتي من تشبُّثنا نحن بربط (عيين) بـ(البوعيين)، وبالجبيل. أما ما يوثق كون (عيين): بهجر، حسب تحديد الهجري، فهو قول جرير يهجو خليل عيين:

كَم عَمَةٍ لَكَ يَا خُلَيْدَ وَخَالَةٍ

خُضِرَ نَوَاجِذُهَا مِنَ الْكُرَاتِ

نَبَتَتْ بِمَنْبَتِهِ فَطَابَ لِرِيحِهَا

وَنَأَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجَثَجَاتِ

(وإنما هجاء بالْكُرَاتِ؛ لأن عبد القيس يسكنون البحرين، والكرات من أطعمتهم).⁽³⁾

(1) المصدر نفسه، (صلاصل).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1293.

(3) أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطع عيسى

وهذا دليل قاطع على أن بلد خُليد عيين هي هجر (الأحساء)، وليست البادية، خارج نطاق الأحساء، في ديار عبد القيس الأولى في غربها، أو حتى في شمال السُودة التي تضم الجبيل، فالمنطقة منطقة زراعية، تنتج البقول، ويعمل أهلها بالزراعة، وهم مستقرّون في ديارهم وحقولهم. ويواصل جرير تهجماتَه على خُليد، ملصقاً إياه بالحاضرة، فيقول:

لقد علقت يمينك قرنَ ثور

وما علقت يمينك باللجام⁽¹⁾

كما يقول:

أقول ولم أملك سوابق عبرة

متى كان حُكمُ الله في كَرَب النخل

ويدافع خُليد عن نفسه، مثبتاً هذه الصفة فيهم، فيقول:

أعيرتنا إن كانت النخل مألنا

وودَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل⁽²⁾

كما هجاه الراعي، ناسباً إياه إلى الدعة والسكون، فقال:

أخُليد إن أباك ضافَ وساده

هَمَّان باتا جنبَهِ ودخِلا⁽³⁾

البابي الحلبي، د - ت) ج3، ص116.

(1) جرير، ابن عطية بن الخطفي، ديوان جرير، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: دار المعارف، 1977م) ج2، ص577.

(2) أبو عبيد البكري، سمط اللأئي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1354هـ/1936م) ج2، ص766.

(3) أبو علي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957م) ج2، ص259.

ومن هنا قال أحد العبديين:

ألا حبّذا الأحساء وطيب هوائها

وركّالها غاد علينا ورائح⁽¹⁾

و(الرّكّال) هو (الكراث) نفسه، أو (الرّكّل) أيضاً في لغة أهل العامّة القدامي بالأحساء. إنها الأحساء، هجر، بلد خُليد عيينة التي تنتج تلك البقول. ولقد اتفق الوصف الجغرافي، والوصف الزراعي، والتحديد النَّسبي، على هذا، حتى إن التحديد الزمني يؤيده أيضاً، بل التخصيص المكاني بالأحساء. وإضافة إلى ما ذكره ياقوت عن إزاحة عبد القيس عن مناطقها في غرب الأحساء منذ العهد الإسلامي، فإن أقدم من ربّط خُليد عيينة بالأحساء هو ابن سلام (ت 231هـ) في قوله مرتين:

«خُليد عيينة، من أهل هجر».⁽²⁾

وتلاه بعد ذلك المبرّد (ت 285هـ) في استشهاده بهجاء جرير وقول أحد العبديين سابقاً، وبعدهم الهجري (من رجال أواخر القرن الثالث الهجري)، بعد المبرّد. وأخيراً قول البكري:

«خُليد عيينة العبدي»⁽³⁾ الهجري.

ثم قوله:

«خُليد عيينة، وكان ينزل قرية بالبحرين، يقال لها: عيينة».⁽⁴⁾

وهذا إثبات قاطع بنسبة خُليد إلى هجر وحدها، وليس إلى سواها.

(1) المبرّد، الكامل، ج3، ص116.

(2) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، 1952هـ) صص 345 - 385.

(3) البكري، سمط اللأئي، ج1، ص598.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص766.

وبهذا، فلا مجال لأخذ خُليد عَينين إلى الجبيل، الأرض الجرداء التي لا تثبت النخل بكثافة، إذ يتطلّب ذاك ماءً دَقَاقاً، لا ينقطع، وهو مصداق قول الراعي:

يَحُتُّ بَهْنُ الْحَادِيَانِ كَأَنَّمَا

يَحُتُّانِ جَبَّاراً بَعِينِينَ مُكَرَعاً⁽¹⁾

فالنخيل مغمورة أجزاؤه السفلى، مرتو من المياه الوفيرة التي لا تنقطع (مكرعا)؛ ولهذا، فالنخل ليس كثيفاً فحسب، بل (جَبَّاراً)، أي: طويل، سامق شاهق، ضخّم... وكل هذه الأوصاف لا تتمتع بها بعض الشجيرات البرية، كما مرّ في قول راشد البوعينين، إلا إذا تجاوزنا، فجعلنا (بعض الشجيرات البرية): نخلات.

يقول كعب بن زهير:

كَأَنَّ أَظْعَانَهُمْ تُحْدِي مُقَفِّيةً

نَخْلُ بَعِينِينَ مُلْتَفٍّ مَوَاقِيرَ

وبعده:

غُلِبَ الرِّقَابُ سَقَاهَا جَدُولُ سَرَبٍ

أَوْ مَشَعَبٌ مِنْ أَتَى الْبَحْرَ مَفْجُورَ⁽²⁾

وهذه صورة نقلها كعب، الذي لم يَرِ (عينين) قطّ من التراث، وكذلك فعل الراعي الذي لم يزر هذه الناحية من البحرين. على ألا نخلط بين (عينين) في شعر كل من الراعي وكعب -وقد توافقا على صورة تراثية جامعة

(1) الراعي النميري، شعر الراعي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: مطب المجمع العلمي العراقي، 1400هـ/1980م) ص221.

(2) كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية، 1369هـ/1950م) ص252.

متداولة- و(عينين) في المدينة - نظراً لتشبيهه كعب بن زهير، فهو مطابق لتشبيهه الراعي- والاثنان لا يعنيان تلك التي بالمدينة، فنخل المدينة لا يحمل صفات نخل هجر، ثم إن (عينين) التي بالمدينة:

«أكمة: صغيرة، بارزة، قرب جبل أحد»⁽¹⁾ فهي جرداء، لا تثبت نخلاً. وواضح من صورة كعب تلك أنه لا يعني إلا (عينين) بهجر، مثناة، كالشائع المتداول، سواء في تشبيه الأظعان بزهاؤها وأعمالها واكتظاظها بالنخيل المثلث حملاً، والمتقارب مسافة، أو بتفصيل الصورة في غزارة المياه وفيضانها.

وإذا عددنا قول الراجز السابق:

راح وقد ملّ ثواء البحرين

على أنه يعني (هجر) (الأحساء-الآن)، ذلك؛ لأنهم كثيراً ما ربطوا بين (هجر) والبحرين، فهي قصبته، وإليها ترد البادية، وهذا مما يعضد كون (عينين) هي تلك.

عينين / عين هجر

إذا ما استقرّ الرأي على أن (عينين): بهجر (الأحساء-الآن)، فإن قولهم: «البحرين: بها عين هجر».

وقولهم:

«بشّق البحرين»

يضعنا أمام حالة واحدة فقط، وهي:

(عين مُحَلَّم).

(1) عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز (مكة المكرمة: دار مكة، 1398هـ) ج 6، ص 202. وانظر، البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

فهذه التي اشتهرت بها (هجر)، وارتبط ذكرها بالبحرين. وكما تبين من قولهم: «شِقِّ البحرين»، أي: طرف هجر هنا من ناحية البرية الغربية، ولا توجد (عين)

في طرف الأحساء ذاك يفيض ماؤها، إلا (أم سبعة)، وهي التي تؤدي نحو الغرب مباشرة. إن (عين أم سبعة)، تأتي إلى الشمال الغربي من (المبرز)، ومنها ينتقل المسافر إلى الغرب، وهي - كما في الطبيعة - تقع في طرف هجر، أي: «شِقِّ البحرين»، وهو التعبير المعتاد المتفق مع واقع (عين أم سبعة). وهذا يضيّق من مجال الخلاف حول تحديد (عين محلّم) (عين أم سبعة)، إذ إن (عين الحارّة) - مثلاً - تأتي إلى الشمال الغربي من (المبرز) مجاورة له، والمسافر المتّجه من (البطالية) نحو الغرب، وتحديدًا نحو (الحفر - حفر الباطن)، وهي منطقة بني مجاشع شرقاً، سوف يسلك طريق (عين أم سبعة)، وتتبع عبد القيس للمتسوّقين من الأحساء، في إقبالهم على الصحراء، هو حتى تلك الناحية، تاركين قرية (المبرز) و(عين الحارّة) على شمالهم، وهذه أبعد نقطة يمكن للمطاردين للحاق بأولئك، حتى لا يقعوا في الدهناء.

على أن الإشكال جاء من قول البعيث:

ونحن منعنا يوم عينين منقراً

ولم ننبُ في جدود عن الأصل⁽¹⁾

وقول الفرزدق:

ونحن أجزنا يوم حزن ضرية

ونحن منعنا يوم عينين منقراً

(1) البكري، معجم ما استعجم، (عينين).

وكما تقول القصة السابقة:

«أما يوم عنين: بالبحرين، فكانت بنو منقر بن عبد الله بن الحارث، خرجوا ممتازين، فعرضت لهم بنو عبد القيس، فاستعانوا بيني مجاشع، فحموهم حتى استقذوهم»⁽¹⁾.

ويعني «خرجوا ممتازين» أنهم استكملوا بضاعتهم من سوق هجر، وسوق هجر المعروفة هي التي تقع في (الأحساء) التي قامت قرية (البطالية) على أنقاضها. ثم مضوا متجهين نحو البادية، أي: نحو الدهناء، فالصمان، غرب الأحساء، ويتوقف المد الزراعي عند حدود (العيون) شمالاً غرباً، وحيث يمكن لعبد القيس أن تعترض طريقهم، وهم في ديارهم، وليس خارجها؛ ولكن في مسافة تمكنهم من النيل منهم؛ ولهذا نصّوا على أن:

«البحرين: بها عين هجر، بلد خليد عنين، الشاعر».

أي: هي الآن: (عين محلم) (عين أم سبعة). غير أن ما جعلنا ننصرف كليةً عن الربط بين (عين محلم) (عين أم سبعة) و(عينين) -أو عن هجر بعامة- هو إلحاحنا الشديد على الجبيل. وأمر آخر له أهمية هنا، وهو أن القدماء أنفسهم كانوا غير دقيقين في التعريف، فهم جرّوا على تعريف (عين محلم):

«عين محلم: نهر عظيم بهجر».

ولكنهم في الوقت نفسه كانوا إذا تحدثوا عن (عين هجر)، تحدثوا عنها، وكأنها غير هذه، بينما الواضح أنهم يقصدون الأولى ليس غير. وزاد الأمر لبساً أنهم ذكروا (عينين) مثلاً، فرحنا نبحث عن التثنية؛ لأن المفرد هو المتكرر في قولهم:

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج 1، ص 238.

«عين هَجَر: بلد خُلِيد عِينين الشاعر».

على أنها عين واحدة، وليست اثنتين، ممّا يستبعد (عين محلم) (عين أم سبعة).

فلدينا (عين) واحدة، تبدو غير ذات علاقة بالثانية، وهذا صريح في هذا النص، إلا أن البكري نسب خليداً إلى المثناة، فقال:

«خليد عِينين، وكان ينزل قرية بالبحرين، يقال لها: عِينين».

وهذا يجعل الإضافة لمكان اسمه (عينين). ولحلّ هذه الإشكال الذي لا يعنينا كثيراً بعد أن تأكدنا من (عين هَجَر): (بلد خُلِيد عِينين) (عين أم سبعة) هو أن الإضافة جاءت من تثنية الاسم، وهذا كثير في أشعارهم يثنون المفرد، وهم لا يريدون به إلا الواحد، بحيث يضطرنا إلى استبعاد (عين هجر) / (عين محلم) (عين أم سبعة) فقط. ويزداد الأمر غموضاً باستشهادهم بقول الراجز السابق:

يتبعن عوداً قالياً لعِينين

راح وقد ملّ ثواء البحرين

غير أن الهجري نفسه هو الذي ذكر تَوّاً:

«البحرين: بها عين هَجَر، بلد خُلِيد عِينين، الشاعر».

أي: أن (عين هجر)، (عين محلم) - كما نرى الآن - هي (عين أم سبعة). أما التثنية، فإلى جانب إرادتهم المعروفة بالاثنتين واحداً، فإن العين الأخرى هي (عين الحارة)، وهم أطلقوا مسمى (عينين) لتقارب العينين، غير المتباعدتين، وكانت شهرة (عين هجر) هي الماثلة، فذكروها مفردة، على حين غابت عن الذكر (عين الحارة). ومع ذلك، فإن الحلّ الحاسم لكون (عين هجر) هي (عين محلم) (عين أم سبعة) هو رسم الطريق من

(البطالية)، حيث سوق هجر إلى الدهناء فالصَّمان، وهي الطريق المؤدّية مباشرة نحو الدهناء والصَّمان، وحيث منازل بني منقَر. وليست (عين الحارّة) في طريق يسيرة. لقد نصّ نصر الإسكندري على أن: «العين: بهجر، وهي عين محلم»⁽¹⁾

يقطع الطريق كلية على أي تفسير يفرّق بين (عين هجر) و(عين محلم). ومشكلة أخرى يثيرها قول البكري الأول: «خُليد عيين، وكان ينزل قرية بالبحرين يقال لها: عيين».

فهنا (قرية بالبحرين يقال لها: عيين)، مع أننا صادفنا الحديث عن (عين هجر)، فالآن لدينا (قرية)، ويبدو الإشكال محلولاً حين نضع في حسابنا أن كل عين حذاءها قرية، أو في وسط قرية، و(عين أم سبعة) تضم نخيلاً شرقها وجنوبها، وهي التي اتخذت مسمى (عيين)، أما شماليتها وشماليتها الجنوبي، فمحاط بالرمال.

لقد بحث المعاصرون عن مسمى لـ(عيين) في (هجر)، فلم يجدوه، وعرفوه موجوداً إلى وقت قريب في الجبيل، فظنّوه هو، ولم يحاول أحد أن يبحث عنه في هجر؛ والسبب -كما اتضح- هو عدم تعيين تلك العين، والسبب الآخر هو التثنية، فمدلول قرية.

لقد ارتبطت البحرين بالعين، وارتبطت قصبته هجر بها، فكانت الإشارة دوماً إليها، فهي:

«نهر عظيم، عين فوّارة، لها مجار واسعة».⁽²⁾

(1) نقلاً عن الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1209. وهو مما سقط من تحقيق الجاسر لكتاب الإسكندري، الأمكنة والمياه، ص283.

(2) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي (القاهرة: مطب الاستقامة، 1366هـ/1947م) ص278.

و(عين هجر) أيضاً:

«عين يفيض ماؤها، فيسقي أرض الناس».

وربما كان ترجيح كون (عين الحارّة) مبعثه قول الأزهري:

«عين محلم: تسقي نخيل جواثى وعسلج، وقريّات من قرى هجر»⁽¹⁾ على أساس أن (عين أم سبعة) في الشمال، وهي متطرّفة في (شقّ البحرين)، مع ملاحظة هذه الصفة، متطرّفة.

(الصفاء) (عين الحارّة)

يرى الجاسر أن (عين محلم) هي (عين هجر)⁽²⁾ المذكورة هاهنا، أما شباط، فيرى أن (عين محلم) هي (عين الحارّة)⁽³⁾. وإذن، فهي بلدة خُليد عيين، ولكن هذا يُلغى كون (عين الحارّة) هي (عين محلم)؛ لأن صفات (عين محلم) تنطبق على (عين أم سبعة). ويرى الرأي نفسه محققو ديوان ابن مقرب على أساس ما جاء في ديوان ابن مقرب من الظرفية في:

«بين النهرين محلم وسليس»⁽⁴⁾.

وعلى ما ذكره الأزهري من سقيا (جواثى) و(عسلج)، واستحالة ذلك بالنسبة لـ(عين أم سبعة).

فإذا وضعنا في الحسبان أن الحديث ليس عن (عين)، وإنما الحديث عن: «نهر عظيم، ذو خُلج كثيرة تتخلّج منها»، أي: أن هذا النهر المتدفّق تتحدّر

(1) أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1976م) ج5، ص108.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1209.

(3) عبد الله بن أحمد شباط، صفحات من تاريخ الأحساء (الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1409هـ/1989م) ص49، ص53.

(4) ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، ج2، ص968.

بعض مياهه نحو القرى في الجنوب الشرقي من مجرى النهر الأساس بصورة من الصور نحن لا نعلمها حقّ العلم اليوم لتغيّر التضاريس، ولا ينطبق القول:

«نهر عظيم، كأنه نهر بلخ»⁽¹⁾، لاتساعه وضخامته وامتداده، إلا على (عين أم سبعة)؛ لأن (عين الحارّة) تنقطع في بحيرة (الأصفر)، بينما (عين أم سبعة) هي التي يمكن أن تجري نهراً حتى الشرق، يصب في البحر. و(عين الحارّة) ليست في الطرف القصي من الأحساء، وإنما بمحاذاتها. أو لعل تعميماً جرى في ذلك من قبل الأزهرى؛ لأن المنطقة كلها كانت مغمورة بالمياه. والواقع أن محققى ديوان ابن مقرب أنفسهم حائرين في التحديد، فلقد واجهوا الظرفية بشيء من الافتراض حين ذهبوا إلى (عين الحارّة)، مستبعدين (عين الخدود) و(عين الحقل) اللتين ينبع منهما (سليسل)، وكان الأولى افتراض ذلك، لا الذهاب إلى (عين الحارّة) لمجرد أنها تقع في مستواهما الأفقي، مع ما بينهما من تباعد. وإذا جاز ذلك الافتراض، فإنه من الجائز أيضاً أن تكون (عين أم سبعة) هي (عين محلم)، حتى إن آل عبد القادر يستبعد أن تكون أي عين من العيون الموجودة الآن بالأحساء هي التي تسقي (جواثى) و(عسلج)، وهو ما يفتح الباب لوجهة النظر المطروحة هنا من كون (الصفاء) هو (عين الحارّة)⁽²⁾.

نهر (الصفاء) (عين الحارّة)

وصف ياقوت (الصفاء) بأنه:

«نهر بالبحرين، تخلج من عين محلم»⁽³⁾.

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص306. وانظر، ص281.

(2) انظر، آل عبد القادر، تحفة المستفيد، ج1، ص52.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الصفاء).

ويرى ابن بليهد أن (الصفاء) هو (المبرز).⁽¹⁾ كما أن الجاسر لا يوافق
العبد القادر في رأيه بأن:

«الصفاء: قطعة من الأرض بين مدينة الهفوف ومدينة المبرز، تسمى:
الصَّفَاء».

ويقول:

«ما أرى الصفاء تنطبق عليها أوصاف الصفاء، فهي مكان مرتفع، ولا أثر
لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين أم سبعة، نهر محلم».⁽²⁾

أما محققو ديوان ابن مقرب، فيرون:

«الصفاء: جبل صغير يقابل جيل رأس قارة من الشمال الشرقي منه بمسافة
700م تقريباً، ويدعى اليوم باسم جبل أبو الحصيص الواقع للشمال من
قرية التوشير الملاصقة لقرية القارة وجبل أبو الحصيص هذا هو -بلا
شك- التل أو الجبل الذي كان يقوم عليه، وفيه حصن الصفاء».⁽³⁾

وهكذا، فعل الجاسر، إلا أنه احتاط بالجمع بين الحصن والنهر، وإن لم
يحدده، فقال:

«حصن الصفاء، أو نهر الصفاء».⁽⁴⁾

أما من أين جاء تعريف (الصفاء) (النهر) بأنه (جبل)، فالمصادر لا تذكر هذا
إطلاقاً، فيما يختص بـ(هجر)، وإنما تحديد القدماء واضح بأنه: «نهر: يتخلج
من عين محلم». فإذا كانت (عين محلم) هي (عين الحارة) الواقعة شمال
غربي (المبرز)، فإن (الصفاء)، الواقع جنوباً منها، وبعيداً عنها، لا ينطبق

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج3، ص279.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص972.

(3) ابن المقرب، ديوان ابن مقرب، حاشية ج1، ص531 - 532.

(4) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1631.

على (الصفاء) (النهر)، كما يؤكدون. والجاسر نفسه استبعد كون: (الصفاء) تنطبق عليها أوصاف (الصفاء)، فهي مكان مرتفع، ولا أثر لمجرى النهر فيها، وليست بقرب عين أم سبعة، (نهر محلم)، ولو ذهب إلى ما ذهبنا إليه هنا من قرب (عين الحارة) من (عين أم سبعة)، على أساس أنها (عين الصفاء)، لبدأ ذلك مقبولا إلى حد ما.

وحيث رأينا الأوصاف تنطبق كلها على (عين أم سبعة) على أنها (عين محلم)، فإن العين الأخرى القريبة منها هي (عين الحارة)، وهي التي لها الشهرة كشهرة (عين محلم)، ومهما كانت حقيقة «تخلج منها»، فإنه يبدو أن ما في ذهن القدماء هو هذه.

وبهذا يترجح رأي ابن بليهد، إلا أنه ليس (المبرز)، وإنما هو (عين الحارة). وعلى العموم، فإن قول ياقوت: «الصفاء: عين تخلج من محلم»، يلغي أية صلة لـ (جبل قارة) بـ (عين الحارة). أما كون (الصفاء) نهراً، فرعاً من نهر أكبر، حسبما وصف ياقوت، وليس جبلاً، فهو قول لبيد:

بين الصفاء وخليج العين ساكنة

غُلِبَ سَواجِدُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا الْحَصْرُ⁽¹⁾

فهنا (العين) (عين محلم)، كما اتضح هذا. وكانت بينهما مزارع كثيفة في ذلك الزمان، وهنا كان الجمع بين (عين أم سبعة) و(عين الحارة) (عين محلم والصفاء)، كما قال لبيد أيضاً:

سُحِقَ يَمْتَعُّهَا الصِّفَا وَسَرِيَّهُ

عُمُّ نَوَاعِمُ بَيْنَهُنَّ كُرُومُ⁽²⁾

(1) ياقوت، معجم البلدان، (الصفاء).

(2) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص60.

وقال كذلك:

فرحن كأن الناديات من الصفا

مزارعها والكرعات الحوامل⁽¹⁾

وكذلك قول امرئ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللائي يلين المشقرا⁽²⁾

على أساس أن (الصفا) (نهر) (عين الحارة)، وأن هذه النخيل مما يلي (عين أم سبعة) (عين محلم)، ولاسيما أن هذه المنطقة الموصوفة بهذا النوع من النخيل كفيلة بأن تغطي مساحة تجمع بين (المبرز) و(القرين) غرب (عين أم سبعة)، التي يأتي جزء منها (نخيل ابن يامن). ومن ثم، يكون لدينا نهران يبدوان متفرعين الواحد عن الآخر، في عهود قديمة كانت الأحساء غارقة بالمياه!

حصن الصفا (فوق جبل وريقة)

أما (الصفا) المذكور في هجر سوى (العين)، فهو الذي جاء في قول ياقوت:

«والصفا: حصن ب... هجر».⁽³⁾

وهذا (حصن) حقيقة، واستعمل ياقوت حرف العطف (الواو)، لتمييزه عن (النهر). وهم كثيراً ما أشاروا إلى (محلم) بأنه (العين)، كما في قول لبيد السابق:

«بين الصفا وخليج العين» -ولاحظ الظرفية- ولبيد وصف (الصفا) بأنه

(1) المصدر نفسه، ص242.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (المشقر).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(نهر)، قوله السابق: «يَمْتَعُهَا الصفا وسريّه».
وتجنباً لذكر كثير من الأشعار التي تقرن (المشقر) بـ(الصفا)، فإنه يكفي
قول جرير:

تركتكم بوادي رحرحان نساءكم

ويوم الصفا لاقيتكم الشعب أوعرا

الذي يجعله الجاسر هذا الذي بالأحساء،⁽¹⁾ كما ذكره ياقوت، وكما أكدّه
ابن بليهد.

وهذا ليس بصحيح مطلقاً، ويكفي أن يقول جرير (الشعب)، ليعني (يوم
جبله) بنجد، وهو ما يثبت قوله قبله:

والشعب ذا الصفا.....

المشقر / (المبرز)

حدّد القدماء (المشقر) على النحو التالي، كما عند البكري:

«المشقر: قصر بالبحرين؛ مدينة عظيمة قديمة في وسطها قلعة، على قارة،
وفي أعلاها بئر تنقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض،
وماء هجر يتحلّب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها: نُقصانها».⁽²⁾

وهو عند ياقوت:

«المشقر: حصن بالبحرين يلي حصناً آخر يقال له: الصفا قبل مدينة
هَجَر، وبين الصفا والمشقر: نهر يجري يقال له: العين».⁽³⁾

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص972. وانظر، ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص58. وانظر ما
سيأتي من ذكر (الصفا) الذي ظنه أبو الخير أنه في (الصفا) بالحرم.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (المشقر).

وحَدَّه المعاصرون بإجماع على أنه، كما يرى الجاسر جبل (القارة).⁽¹⁾ وبهذا يتفق المعاصرون كلهم على وسط الأحساء. أما الجاسر، فكان قد حدّد (معلم) على أنها (عين أم سبعة)، وهذه تقع جنوب قرية (القرين)، أما محققو ديوان ابن مقرب، فيرونها (عين الحارة)، والسؤال هو: كيف تكون الظرفية (بين)، فتجتمع (القارة) و(عين أم سبعة)، أو (عين الحارة) و(القارة)؟ فنحن أمام عدم اتفاق في التحديد، وهذا مشكل. فإذا أخذنا بأقوال القدماء، حسبما نقل ياقوت:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

سواء كان هذا هو (عين أم سبعة)، أو (عين الحارة)، حسب وجهات النظر، فإن (الصفا) هنا ليس عيناً، وإنما حصن، وباستخدام الحجة نفسها التي قدّمها محققو ديوان

ابن مقرب، في كون (بين) تعني الامتداد نفسه، فإن (الصفا) الذي حدّده (جبل التوشير) لا يقع في موازاة (عين الحارة) (عين معلم)، كما يرون. أما الجاسر، فأغفل ذلك تماماً.

على أن ياقوتاً ذكر:

«الصفا: قصبة هجر».⁽²⁾

وابن بليهد يراه:

«الصفا: قصبة المبرز».⁽³⁾

وهذا يقربنا كثيراً إلى (عين الحارة)، القريبة من (المبرز)، بحيث تكون

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1383. وانظر، ابن مقرب، ديوان ابن مقرب، حاشية ج1، ص272، 531، ج2، ص1623.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الصفا).

(3) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج1، ص58.

(عين الحارة) هي نهر (الصفاء)، أما (المشقر)، فإن قولهم:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

ينقلنا إلى (العين) / (عين هجر) / (عين محلم): (عين أم سبعة)، ويكون (الصفاء) المذكور في قول ياقوت هو الحصن، وبالقرب من (المبرز) جبلان هما: جبل (وريقة) وجبل (الشعبة)، فجبل (الشعبة) يقوم عليه الحصن، وعلى جبل (الوريقة) يقوم (المشقر)، وبينهما تجري (العين) التي تشير دوماً إلى (عين محلم) (عين أم سبعة)، فاسم (المشقر) اندثر، وهو أخيراً الذي حلَّ اسم (المبرز) محله، ولقد تحرّف (المشقر) إلى (المبرز)، كما تحرفت أسماء عدّة في المنطقة نفسها، وفي غيرها. ومع أن ابن مقرب ذكر (المشقر) و(الصفاء)، في قوله:

وما ضرني مع قربه أن منزلي

وقومي بأكناف المشقر والصفاء

فإن ابن مقرب يذكره ترديداً، لا عياناً، وكذلك ما ذكره شارح ديوانه؛ ذلك أنه -كما حقق الجاسر-⁽¹⁾ انقطعت عنا أخبار (محلم) بعد القرن الأول الهجري، حتى إن الأزهري -كما يقول- ينقل تعريفاته عن غيره.

لقد واجه الجميع معضلة (نهر الصفاء)، ولجؤوا إلى الحصن، بدلاً من النهر، فألغوا النهر إغفاءً؛ لأنه يتعارض مع نتائجهم، وحين الربط بين (عين الحارة) (نهر الصفاء)، و(العين) - (عين محلم)، نجد الأوضاع كلها تتسق في نطاق واحد على ذلك النحو السابق، واضعين نصب أعيننا أن الاعتماد كان على شرح ديوان ابن مقرب الذي ذكر (محلم) حدساً، وليس يقيناً. أما (الصفاء) (جبل أبو الحصيص، شمال قرية التوشير)، فليس واقعاً

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1638.

بين (عين الحارة) و(نهر سليسل). وكذلك، فإن جبل (القارة) له تعريفه الخاص في المعاجم، بحيث لا يكون هو (المشقر)، ولا يتوافق مع: «على قارة، وفي أعلاها بئر تنقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلَّب إلى هذه البئر...».

وإنما يتوافق مع:

«بين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له: العين».

ف (العين): هي (عين أم سبعة)، و(الصفا): نهر هو (عين الحارة)، و(المشقر): حصن فوق جبل (بريقة)، و(الصفا): حصن فوق جبل (الشعبة)، وشارح ديوان ابن مقرب كان بعيداً عن واقع المكان، فزجَّ بـ(محلّم) زجاً، بينما لا أحد يعلمه في عصره، حتى الشاعر نفسه.

البوعينيون

قال سليمان الدخيل، فيما يخص (عينين)، كما نقل محمد بن عبد الله القشعمي:

«سمّيت بلدة البوعينين بهذا الاسم؛ لأن أول من احتلّ تلك الأرض رجل من العرب كان يُعرف بالبوعينين، سنة 1200هـ/1785م، من قبائل العجمان التي تسكن قطر. وعسى أني لم أخطئ في ما ذكرته، والله أعلم».

وعلق القشعمي على هذا بقوله:

«قال أبو عبد الرحمن: هو لم يخطئ، ولكنه أكثر الكذب، وهذا النصّ كله من أوله إلى آخره خيالات من خيالات الدخيل -رحمه الله- منزوع الفائدة، قليل الجدوى».⁽¹⁾

(1) محمد بن عبد الله القشعمي، مجلة الحرس الوطني (ع232، س23، رجب1422هـ، أكتوبر، 2001م) ص264.

فهل يستحق الدخيل -وقد احتاط ذلك الاحتياط الأخير- أن يتهجم عليه أبو عبد الرحمن ذلك التهجم؟ وما الحق في نظر الظاهري؟ هل الحق ما نقله أبو عبد الرحمن عن الجاسر:

«هذه البلدة معروفة بعينين، وهي بلد خلود عينين، وقد سميت أخيراً بالجبل»⁽¹⁾.

كان الجاسر في كثير من مواضع كتابه، شمال المملكة، يلمز الدخيل لمرأ، مع أن كثيراً من المواضع التي يذكرها، في منطقة حائل، مصدرها الدخيل نفسه. وجاء أبو عبد الرحمن، ليكيل الصاع صاعين في مسألة لم يكن الرأي قد استقر عليها بعد؟ فهل يعلم أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري أن (عينين) كانت كما ذكر الدخيل حقاً؟ وأن الدخيل لم يكن يكذب في حديثه عنها؟

ويرى الجاسر:

«بلدة عينين: كانت معروفة بهذا الاسم إلى منتصف القرن الماضي، حيث عُرفت باسم: الجبل، شمال القطيف، ومن أشهر الأسر التي عرفت من أهل هذه البلدة بالثراء والفضل آل بوعينين، تنتمي إلى بني تميم»⁽²⁾.

وهذا القول غير صحيح في أغلبه، ف(الجبل) -وبحسب اعتراف البوعينين أنفسهم:

«قبل قرن من الزمان تقريباً، وبالتحديد قبل عام 1327هـ/ 1910م كانت منطقة الجبل منطقة ساحلية خالية من السكان، حيث لا يوجد على أرضها سوى بعض الشجيرات البرية، ولا يمر بها سوى البدو الرحل الذين يأتون

(1) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: دار الأصاله، ط1، 1413ع/1993م) ص264.

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج3، ص1245.

لها طلباً للماء من عيونها القريبة»⁽¹⁾.

ولأن جماعة من العرب معروفة باسم (البوعيين) سكنوا الجُبيل، أي: آل بوعيين، ذهب المعاصرون إلى أن هذا الاسم هو اسم البلدة قديماً، ولم يستوطن البوعينيون الجُبيل إلا في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أي: أوائل القرن العشرين، وصاحب وجودهم بعد ذلك ازدهار ميناء الجُبيل في بداية الحكم السعودي.

وليكن الدخيل (يكذب) في هذه المسألة، فهل كان ابن بليهد أصدق منه، حينما نقل مثلما نقل الدخيل، فقال:

«وقد حَدَّثْتُ حديثاً من عيين أن عيين التي على ساحل الخليج غير عيين المشهورة في المعاجم، والذي حَدَّثني عنها أن هذا الموضع سُمِّي باسم الذين بعثوه، وهم قوم نزحوا من منامة البحرين، يقال لهم: آل أبوعيين، فُسُمِّي هذا الموضع باسمهم.

وقد قال شاعر من شعراء النبط، وهو صالح السَّكَنِي:

وراني ما غَرَّبَ واركب الغوص للبحرين

وخلِّي ديار الفقر يلعب بها الجن

وأعابن مديد حَدَدُوا لم أبوعيين

وتقطع علوم الدار وأخبارها عن

فقلت للذي حَدَّثني: إن صَحَّ أن الذين بعثوها يقال: أبوعيين، قبل نزولهم فيها، فالصواب معك، وإن كانوا لم يظفروا به إلا بعد نزولهم بها، فهذه حُجَّة عليك، لا لك، فقال: إن أهل المعاجم إذا ذكروا موضعاً، وهو على ساحل البحر، ذكروه، وذكروا البحر الذي هو ساحله. وذكر ياقوت والبكري الموضع

(1) البوعيين، الجُبيل، ص14. وانظر، ص26.

الذي منه خليف عيين، فيه نخيل، وهذا الموضع ليس به نخيل، وعيين تُعدّ من قرى البحرين، وهي عند أهل نجد يُطلق عليها اسمان: الأول: عيين، والثاني: الجبيل»⁽¹⁾.

ويُقرّ البوعيين بهذا، فيقول راشد البوعيين: «تمّ النزوح إلى الجبيل على دفعتين، الأولى عام 1327هـ، أما نزوح الدفعة الثانية، فقد تمّت في أواخر عام 1340هـ»⁽²⁾.

فالدخيل وابن بليهد متّفقان على النقل، وهما متّفقان على أن البوعيين نزلوا (الجبيل) متأخراً. وحسب ما نقل ابن بليهد: «هذا الموضع سُمّي باسم الذين بعثوه، وهم قوم نزحوا من منامة البحرين، يقال لهم: آل أبوعيين».

فإن نسبة البوعيين إلى (الجبيل) نسبة حديثة، والبوعيون معروفون في بلدان الخليج، فقد مرّ أنهم بقطر والبحرين، قبل أن يكونوا في (الجبيل). وقد عدّهم الدخيل من العجمان، بينما جعلهم الجاسر من بني تميم. وهم جماعة عربية، عريقة في منطقة الخليج، ولاسيما قطر والبحرين، والجبيل، ولكنهم البوعيين جماعة، وليسوا البوعيين مكاناً. وحتى راشد البوعيين لا يعلم صلة جماعته بأيّ من القبيلتين، فهو يورد قول محمد بن راشد آل بوعيين:

بنو دارم ذروة تميم وتنتمي

لفرع الندى موري سناها ضيوفها

ويعلق عليه:

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج 4، ص 234.

(2) البوعيين، الجبيل، ص 15، 17.

«وهذه الأبيات توضّح أن (عينين) هي الموطن القديم لهذه القبيلة قبل رحيلهم عنها إلى قطر، وعودتهم إليها مرة أخرى، كما يتضح أن مسمى هذه القبيلة اقترن مع موطنهم (عينين) منذ القدم»⁽¹⁾.
إلا أنه يقول:

«ويُنسب إلى عينين الشاعر الأموي خلود عينين، من عبد القيس، من ولد عبد الله بن دارم بن مالك»⁽²⁾.

فخلود من عبد القيس، وليس من تميم، وإن تشابهت الجدود في الاسم (دارم)، يشير راشد إلى قول لوريمر:

«آل بوعينين: فرع من فخذ صبيح، من قبيلة بني خالد المقيمين في قطر، في الوكرة، وفي البحرين، في المحرق».

ويعلق راشد على هذا القول، فيقول:

«كانت تربطهم ببني خالد علاقة حلف ومصاهرة فقط»⁽³⁾.

وبالتأكيد، فلم تكن أية جماعة تستطيع السكنى في المنطقة البرية، دون حماية، لولا أنهم احتاطوا -مع عزّتهم ومنعتهم الذاتية- بإقامة الأسوار⁽⁴⁾. وليس لأن البوعينيين عادوا إلى موطنهم الأصلي، وهذا ما لم يحدث في التاريخ إطلاقاً، بعد تلك القرون الطوال الماضية، من القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

لقد كان اختيار (الجبيل) صدفة، ولم يكن مقصوداً، يقول راشد البوعينيين:
«أشار عبد الله بن عبد الرحمن المسحل آل بوعينين إلى وجود موقع مناسب

(1) المرجع السابق، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ص 21.

(3) المرجع نفسه، ص 20.

(4) المرجع نفسه، ص 16.

كان يتّخذُه (بندراً) أي: مرسى للسفن في رحلات الغوص التي كان يقوم بها بالقرب من ساحل الجبيل»⁽¹⁾.

إذن، فكما يقول راشد:

«الجبيل: اسم حديث لم تكن تعرف به هذه المنطقة من قبل، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الجبل البحري الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية من الجبيل»⁽²⁾.

أما اسمها القديم، فلا علاقة له بخليد عنين، وليس له علاقة بقريته، وليس في الجبيل إلا عين واحدة معروفة هي (عين طوية)، مما لا يساعد أبداً على تمثيل ذلك الوصف للنخيل، كما هو في الشعر، الأمر الذي يعني أن (عينين) في منطقة وفيرة المياه، متدفقة دون انقطاع، تغمر مساحات شاسعة من الأرض، وذات نخل كثير، غير بعيد عن هجر (الأحساء)، وهي بلاد خليل عنين.

يقول مبارك بن علي العيوني آل بوعينين:

لا قفن كما جول القطا فر طائر

من قصر عينين أومي على خير⁽³⁾

فالآن هنا (قصر عينين)، وهو قصر أقامه البوعينيون أنفسهم، فتسبته لهم. ويدل قول مبارك هذا على أن الاسم (الجبيل) لم يكن معروفاً بعد، وأن (عينين) هو الاسم السابق عليه نسبةً إلى هؤلاء القادمين الجدد، وليس لأن الاسم قديم أبداً، بل إن الاسم لا علاقة له حتى بوجود عينين بها، وهما اللتان يذكرهما راشد:

(1) المرجع السابق، ص 15.

(2) المرجع نفسه، ص 20.

(3) المرجع نفسه، ص 76.

«عين العبد الله، وعين العيد، وتقعان على بعد ثلاثة أميال من الجنوب الغربي للجبل»،⁽¹⁾ ولم يكن الموضع معروفاً بهما، وإنما جاءت، كما صرح بذلك الدخيل وابن بليهد من نسبة الموضع إلى البوعيين.

وعند هذا الحد، فهل كان سليمان الدخيل (يكذب)، فيما يخص (عينين)، أم هو من الصادقين؟ أما تحديد الدخيل لزمن نزوح البوعيين، فالدخيل - كما نقل أبو عقيل - ينقل من الأخبار.⁽²⁾ ولهذا، فصحيح أن البوعيين لم يأتوا إلى الجبل - كما حدده راشد - مع مطلع القرن العشرين، ولم يسبق لهم وجود قبل ذلك. وكان سبب نزوحهم لأوضاع خاصة بقطر. وقد بين الدخيل سبب تسمية (البوعيين) التي لا دخل لها بـ (عينين) المكان.⁽³⁾

وسواءً أكانت (عين هجر) / (عين محلم) / (عينين): هي (عين أم سبعة)، كما هو مطروح هنا، أم كانت (عين الحارة)، كما يتصور محققو ديوان ابن مقرب، فإننا الآن في الأحساء، وتحديدًا في الجزء الشمالي الغربي منها، بعيداً جداً عن (الجبل).

ويبدو - أخيراً - أن لا صلة لـ (البوعيين) حتى بخليد عينين، وفقاً للمكان، وإنما تعود التسمية إلى شؤون أخرى، ذكرها الدخيل، وأشار إليها ابن بليهد، وذكر راشد البوعيين أن نزوح البوعيين إلى (الجبل) حديث، وأن اسمهم كان أسبق من ذلك، وهم إن لم يكونوا من (العجمان)، أو من (بني خالد)، أو من بادية تميم، فليس لهم علاقة بعبد القيس حاضرة الأحساء، وتحديدًا بخليد عينين من عبد القيس، أو خالد عينين الذي صغره جرير سخرية.⁽⁴⁾

(1) المرجع نفسه، ص 23.

(2) الظاهري، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية، ص 261.

(3) المرجع نفسه.

(4) انظر، المبرد، الكامل، ج 3، ص 116. الجاسر، خليل عينين، العرب، س 17 (القعدة - الحجة، 1420 هـ -

سبتمبر - أكتوبر، 1982م) ص 333 - 339.

العين (عين مُحَلَّم)

يأتي تحديد (محلّم) على النحو التالي، ذكر الهمداني:

«نهر محلّم: بهجر؛ ومحلّم: نهر عظيم»⁽¹⁾.

وذكر ياقوت:

«عين محلّم: عين فوّارة، بالبحرين... ولهذه العين -إذا خرجت في نهرها-

خُلج كثيرة تتخلج منها، تسقي نخيل جوائء وقُرَيّات من قرى هجر»⁽²⁾.

وقال الجاسر:

«هو ما يعرف الآن باسم: أم سبعة، أقوى عيون الأحساء»⁽³⁾.

وفي ضوء هذه التعريفات، ولاسيما تحديد الجاسر -الموافق لتحديد ياقوت-

فإن قول العبيد:

«الحارة: تتفرع إلى نَهْرَي الشمال ومغيصيب، ثم يتفرّع نهر الشمال إلى

خمسة أنهر، ويتفرّع مغيصيب إلى سبعة أنهر»⁽⁴⁾.

لا ينطبق على (محلّم).

الخلط بين (محلّم) و(ملهم)

ذكر البكري أيضاً:

«قال الخليل: (محلّم): نهر باليمامة»⁽⁵⁾.

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص306. وانظر، ص281.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (عين محلّم).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1767. وانظر، ص1581-1586. ج3، ص1214.

(4) عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية (الدمام:

نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط1، 1413هـ/ 1993م) ج1، ص273.

(5) البكري، معجم ما استعجم، (محلّم).

وما هذا إلا سهو من البكري، فنهر اليمامة هو (ملهم)، فتصحّف ذلك أن ياقوتاً يقول:

«قال صاحب العين: محلم، نهر البحرين»⁽¹⁾.

وصاحب العين هو الخليل نفسه. والذي يبدو أن البكري استقى مادته من مصدر غير الذي رجع إليه ياقوت، ووقع في الأول اضطراب، إذ لا يكون الرأيان منسويين للخليل، وإنما هما رأي واحد، على أن (محلم: بهجر البحرين). واستشهد اللسان على أنه باليمامة، بقول الفرزدق خطأ كذلك، ونسبه إلى مجهول، وروايته (دنا) هي الصحيحة:

.....

فسيل دنا جباره من محلم⁽²⁾

جاء في ديوان الفرزدق:

فراحا بجرجور كأن إفالها

فسيل (دما) قنوانه من محلم⁽³⁾

وأغرب شيء أن يتوافق ناشرو ديوان الفرزدق على هذا التصحيف! رأينا أن القدماء وصفوا (محلم) بأنه (نهر)، ووصفوه أيضاً بأنه (عين)، والجاسر يجعله عين أم سبعة، والعبيد يجعله ذا أنهر. وكلا القولين صحيح، فإذا أخذنا بالرأي الراجح، وهو أن (محلم): عين أم سبعة، التي كانت تفيض -وحتى وقت قريب كانت مترعة جداً بالماء- ثم يتجه الماء متدفقاً شرقاً نحو بركة العقير، فيصب في البحر، جهة العقير، شاقاً الطريق على

(1) ياقوت، معجم البلدان، (عين محلم).

(2) ابن منظور، اللسان، (حلم).

(3) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج2، ص759.

هيئة مجرى مائي دون انقطاع، فكان نهراً، وكان عيناً، تتفرّع عنها جداول. وسنرى من الشعر أن منطقة الأحساء، ولاسيما هذه المنطقة، كانت غزيرة المياه، وكانت نخيلها مضرب المثل في الإثمار والكثافة، والامتلاء، والإنتاج. ويدل على أن (معلم) كان نهراً جارياً قول الهمداني بعد وصفه السابق بأنه (نهر عظيم):

«البحرين: إنما سمّيت من أجل نهرها معلم».

وإضافة إلى التعبير عن اتساع ذلك المجرى المائي بوصفه تارة بأنه (عين) وتارة أخرى بأنه (نهر)، فإن المساحة التي يجري فيها موصوفة كذلك بضخامة النخيل وكثافتها، وغزارة إنتاجها، كما في قول الفرزدق السابق «فسيل دنا جبار من معلم». ويقول بشر بن أبي خازم:

كَأَنَّ حَمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا

نَخِيلٌ مَحْلَمٌ فِيهَا انْحَنَاءٌ⁽¹⁾

وذكره بشر مرة أخرى، فقال:

كَأَنَّ حَمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا

نَخِيلٌ مَحْلَمٌ فِيهَا يَنْوَعٌ⁽²⁾

وقال لبّيد:

نَخْلٌ كَوَارِعٌ فِي خَلِيجٍ مَحْلَمٍ

حَمَلَتْ فَمِنْهَا مُوقِرٌ مَكْمُومٌ⁽³⁾

(1) بشر بن أبي خازم الأسدي، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الثقافة، 2013)، ص 1392/هـ/1973م.

(2) المصدر نفسه، ص 130.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (معلم).

وقال ابن الدمينه:

كَأَنَّهُمْ دُلَّحٌ يَسْقِي جَدَاوِلَهَا

محلم حيث أدت خرجها هجر⁽¹⁾

فكل هذه الشواهد تثبت أن المنطقة التي يجري فيها (محلم) منطقة كثيفة النخيل، غزيرة المياه، تنتج إنتاجاً وفيراً من التمر، إذ كل مفردة في الأبيات السابقة تحمل هذه المعاني وتؤكددها.

هذا من ناحية إنتاج التمر، أما من ناحية غزارة المياه، فإضافة إلى أن الأبيات السابقة تدل عليها، فإن الشعر لم يغفل هذا، قال الأخطل:

تَسْلُسِلُ فِيهَا جَدُولٌ مِنْ مُحْلَمٍ

فلو زعزعتها الريح كادت تميلها⁽²⁾

وقال أعشى همدان:

وَمَا نَزَلْنَا بِالْمَشْقَرِ وَالصَّفَا

وساق الأعراب الركاب فأبعدوا

بدأننا فغورنا مياه محلم

لعل بقايا جمّة القوم تنفذ⁽³⁾

لقد كانت هذه المنطقة ذات المياه الوفيرة والإنتاج الزراعي الكثيف، ولاسيما من التمر القابلة للتصدير، محط أنظار القبائل، إضافة إلى كونها منطقة جذب، مدعاة لصراعات القبائل عليها، وهو ما دفع بعضها إلى الحرب

(1) الرّمّاح بن أبرد المرّي، ابن ميّادة، شعر ابن ميّادة، تحقيق: حنا جميل حداد (دمشق: مطبوع مجمع اللغة العربية، 1402هـ/1982م) ص67.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).

(3) المصدر نفسه.

الاقتصادية المتمثلة في تجفيف المياه وتدمير آبارها، كما هو بين من قول
أعشى همدان، ومثلما يقول الأعشى:

ونحن غداة العين يوم فطيمة

منعنا بني شيبان شرب محلم⁽¹⁾

وكما هو واضح من قول خبال بن شبة:

وبهن أيام المشقر والصفاء

ومحلم يبكي على قتلانا⁽²⁾

(محلم) / (العين) / (فطيمة) في قول الأعشى

رأينا توّاً قول الأعشى:

ونحن غداة العين يوم فطيمة

منعنا بني شيبان شرب محلم

وتتفق المعاجم كلها، قديمها وحديثها، على أن (محلم): يقع في الأحساء،
ناحية المبرز، ويعني قول الأعشى هذا:

1- أن بني قيس، من بكر، في منطقة المبرز، وأن بني شيبان هاجمهم،
فردتهم قيس على أعقابهم.

2- كما يفترض مبدئياً أن (محلم) لقيس، وأن كلتا القبيلتين الأختين،
والمتعاديتين، متجاورتان.

وهذا ليس بصحيح، فهذه المنطقة كانت لعبد القيس، ووجود جماعات بكرية
فيها لا يشكل ثقلًا. بل إن قيساً، قبيلة الأعشى، لم تكن في هذه الجهة من

(1) المصدر نفسه.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (محلم).

الأحساء، وكانت شيبان، في عصر الأعشى، تسكن الجزيرة الفراتية. يقول
الأعشى بعد ذلك البيت:

جبهناهم بالطعن حتى توجها
وهزوا صدور السمهري المقوم
وأيام حَجَرٍ إذ يحرِّق نخله
تأرناكم يوماً بتحريق أرقم
كأن نخيل الشط غب حريقه
مآتم سود سَلَبَت عند مآتم⁽¹⁾
ويتكرر هذا في قوله:

يوم حجر بما أزل إليكم
إذ تُذكي في حافتيه الضراما
وبعد:

ثم بالعين عُرَّةً تكسف الشمـ
س ويوماً ما ينجلي إظلاما
إذ أتكّم شيبان في شارق الصبـ
ح بكبش ترى له قداما
ويرى محقق الديوان:

«العين: عين التمر».⁽²⁾

أي: غربي الكوفة. بينما الاتفاق على أن (العين) هي (عين محلم). وفيها

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، ص 248 - 249.

(2) المصدر نفسه، ص 127.

يقول: (1)

نحن الفوارس يوم العين صاحبة
جنبي فُطيمة لا ميل ولا عُزل
وواضح أن (فطيمة): اسم مكان، يقول البكري:
«فطيمة: موضع في ديار بكر».(2)

فكيف يجتمع هذا التفسير، وديار بكر التي يعنيها البكري في الجزيرة
الفراتية، شمالي العراق؟ يقول ياقوت:
«فُطيمة: اسم موضع بالبحرين، كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضُبَيْعة
وتغلب من ربيعة، ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان».(3)

وهذه ليست من منازل ربيعة أيضاً، وإنما منازل ربيعة الجزيرة الفراتية. ولم
تقع قط حرب بين تغلب وشيبان، عدوها اللدود، في شرق الجزيرة العربية،
وإنما كانت وقائعهم الأولى في وسطها، مما يشكل أعلى وادي (الجرير)،
بوسط نجد، نقطة ارتكازها. والأعشى لا يشير إلى تغلب في شعره، وإنما
يشير إلى شيبان. وهناك ملاحظة مهمة تتعلق بالعلاقة بين الطرفين، وهي
أن كلتا القبيلتين لم تكونا تسكنان البحرين القديمة، وإنما كانتا ترتادانها
للامتياز، وهذا واضح من قول الأعشى السابق:

ثم بالعين عُرّة تكسف الشم
س ويوماً ما ينجلي إظلاما
إذ أتكم شيبان في شارق الصب
ح بكبش ترى له قداما

(1) المصدر نفسه، ص 247.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (معلم).

(3) ياقوت، معجم البلدان، (فطيمة)، (العين). وانظر، (عين التمر)، (عين معلم).

أما قول محقق الديوان:

«فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني سيار من بني شيبان؛ وله امرأة غيرها من قومه، فتعايرتا، فعمدت السيارية، فحلقت ذؤابة فطيمة، فاهتاجت الحرب».⁽¹⁾

فحتى لو كان هذا صحيحاً - والدلائل ضده - فالحادثة لم تخرج عن (هجر)، وليس بعيداً عنها. وبهذا تكون (العين): هي عين (محلّم) (عين أم سبعة). ويدل قول الأعشى على تلك الحادثة، حادثة الامتياز من البحرين:

فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء

فأنا وجدنا الخط جماً نخيلها⁽²⁾

وذلك في اصطدام بين الحيين، وهما يمتاران فقط من البحرين، وهوما يشير إلى حرب وقعت بينهما في جهات (محلّم)، في زمن سابق، فبكر التي كانت تمتاز من الأحساء، تحوّلت إلى الامتياز من القطيف (الخط). ونقل الجاسر عن الأغاني، في تعليق على قول الأعشى: «منعنا بني شيبان شرب محلّم»، تأكيد ذلك:

«حذرهم أن تلقى شيبان مثلاً لقوا يوم العين: عين محلّم، بهجر».⁽³⁾

ومن ثم، فإن قول أعشى بني عوف بن همام بن مرة الشيباني:

قد سرّ قومي على ما كان من حدث

بالعين أني لأخلاق العُلا سامي⁽⁴⁾

هو في هذه العين ذاتها.

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، حاشية ص177.

(2) المصدر نفسه.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1582.

(4) الحارث بن حلزة، ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق عمر فاروق الطباع (بيروت: دار القلم،

1404هـ/1994م) ص71. وانظر، الأمدي، المؤلف والمختلف، ص11.

و(عين محلم)، (العين)، هي التي جاءت في قول الممَرِّق العبدى:
 فمن مُبَلِّغِ النعمان أن أُسَيِّداً
 على العين تعتاد الصفا ويُمرِّق⁽¹⁾

وقال لبيد:

بَيْنَ الصَّفَا وَخَلِيجِ الْعَيْنِ سَاكِنَةً
 غُلِبَ سَوَاجِدُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا الْخَصَرُ⁽²⁾
 وهي التي جاءت في قول أبي النجم العجلي:
 لاقت تميم في ساهورها بين
 الصفا و(العيس) من سديرها⁽³⁾
 وقال امرؤ القيس:

أطافت به جيلان عند قطاعه
 تُرَدَّدُ فِيهِ الْعَيْنُ حَتَّى تَحِيرَا
 وقال ابن دريد:
 «يعني عين هَجَر».⁽⁴⁾

أي: عين (محلم) (عين أم سبعة)، ولكن الأزهري رواه:

.....

وَرَدَّدَ فِيهِ الطَّرْفَ حَتَّى تَحِيرَا⁽⁵⁾

-
- (1) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، المفضَّلِيَّات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، ط5، 1383هـ/1964م) ص421. يمرق: يغني.
 (2) البكري، معجم ما استعجم، (محلم).
 (3) ابن منظور: اللسان، الزبيدي، التاج، (سهر) وفيهما (العيس)، وصوابها (العين).
 (4) أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد، جهرة اللغة (بغداد: مكتبة المثنى، د - ت) ج3، ص227.
 (5) الأزهري، التهذيب، ج11، ص191، وانظر، (عينين).

ومعلومة قيّمة جداً تفيدنا بها هذه الإشارات الشعرية، وهي أن تلك الحروب بين القبائل كانت تقع خارج الأسوار المحصنة بهجر التي تقيم فيها الحامية الفارسية، ويتولى قيادتها القائد الفارسي (المرزبان)، والتي لم تتعرض لتلك الصراعات القبلية بين البدو، تاركينهم وشأنهم يقتتلون فيما بينهم. وكانت عبد القيس تتعرض كثيراً لغزوات البدو، ولكن كل ذلك بعيد عن الاصطدام بالفرس؛ لأنه لا يعنيهم، مثلما سنرى من قول عمر بن الطفيل:

إن تسألني الخيل عنا في مواقفها

يوم المشقر والأبطال في زَعَج

والحادثة المثيرة التي احتك فيها الفرس بالبدو هنا هي حادثة (يوم المشقر) التي سنأتي على ذكرها.

ومرة أخرى، فهذا يؤكد أن المقصود بـ(عينين)، هو (عين محلم)، كما لحظنا من مطاردة عبد القيس تميماً، بعد أن كادوا يبتعدون عنها.

المشقر (المبرز)

يحدد الجاسر (المشقر) على أنه:

«بقرب مدينة الأحساء... بقرب عين الجوهريّة، في قرية البطالية».⁽¹⁾

وهذا التحديد لا يتفق مع الصورة المنقولة عن (المشقر)، كما لا يتفق قرينه (الصفاء)، فإذا كانت (عين محلم) هي العين الحارّة، فإن الموقع المناسب لـ(المشقر) هو: المبرز، شمال الهفوف، وفي المبرز قلعة صاهود.

فهنا قلعة، ذلك الحصن المشهور،⁽²⁾ وقد تحوّل نطق الاسم إلى المبرز، بعد أن استُقل نطق (المشقر). ولا بد أن القلعة أقيمت على بقايا حصن قديم.

(1) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج4، ص1631.

(2) انظر، ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

والغريب أن البكري ضبطه في موضع آخر بكسر القاف المشددة،⁽¹⁾ بينما حافظ على الفتح هنا.⁽²⁾

علاقة عبدالقيس بـ(المشقر)

يثبت يزيد بن مفرغ أن (المشقر) لعبدالقيس، فيقول:

تركت قريشاً أن أجاور فيهم

وجاورت عبدالقيس أهل المشقر⁽³⁾

كما يثبته قول عمرو بن أسوى الليثي، من عبدالقيس:

شحطنا إياداً عن (وقاع) فقلصت

وبكراً نفينا عن حياض المشقر⁽⁴⁾

أما ما يُنسب إلى بعض آل سعد بن ملك يركب، فهو على الأقل يثبت وجود (الأزد) قديماً بهذه المنطقة، يقول:

وأزد لها البحران والسيف كله

وأرض عُمان بعد أرض المشقر⁽⁵⁾

(1) البكري، معجم ما استعجم، (معلم).

(2) المصدر نفسه، (المشقر).

(3) يزيد بن مفرغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مطب الرسالة، ط2، 1402هـ/1982م) ص135.

(4) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص81.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص369.

علاقة (المشقر) بـ (الصفاء) و (محلّم)

وقد أكثروا من ذكر (المشقر)، لارتباطه بـ (الصفاء) كثيراً، وبـ (محلّم)، كما في قول الأعشى:

فإن تمنعوا منا المشقر والصفاء

فإننا وجدنا الخط جمّاً نخيلها⁽¹⁾

وفي قول امرئ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يا من

دوين الصفاء اللائي يلين المشقراً⁽²⁾

وقال طرفة:

وتلبس قوماً بالمشقر والصفاء

شأبيب موت تستهل ولا تغضي⁽³⁾

وقال حميد بن ثور:

لقد غادر الموت قبل الصفاء

وبعد المشقر قدراً جليلاً⁽⁴⁾

وقال أعشى همدان:

وأما نزلنا بالمشقر والصفاء

وساق الأعراب الرُكّاب فأبعدوا⁽⁵⁾

(1) الأعشى، ديوان الأعشى، ص 177.

(2) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص 57.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

(4) أبو بكر، محمد، وأبو عثمان، سعيد، الخالديان، الأشباه والنظائر، تحقيق: السيد محمد يوسف

(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م) ج 2، ص 343.

(5) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1381هـ/

وقال جرير:

عليكم بالنخيل فأصلحوها

ودوروا بالمشقّر فالصفاء⁽¹⁾

وقال أبو النجم العجلي، وهنا تصحيف، فهو (السيف)، وليس (السند):

ونزلوا عند الصفا المشقّرا

وهبطوا (السند) بجني قطرا⁽²⁾

ومع ارتباط (المشقّر) بـ(الصفا)، فقد ذكروا معه أيضاً (معلم)، قال
حناك ابن سَنَّة العبسي:

وبهن أيام المشقّر والصفاء

ومعلم يبكي على قتلاتنا⁽³⁾

رمزية (المشقّر)

وقال رجل من كندة:

فأرى المشقّر كان يحرس بابه

ألف وألف من يرّمه يُفلق⁽⁴⁾

قال الفرزدق:

1962م) ج9، ص155.

(1) جرير، ديوان جرير، ج2، ص1019.

(2) محمد مرتضى الزبيدي، التاج (الكويت: مط الحكومة، 1384هـ/1974م) (قطر) (وهو ليس في ديوانه).

(3) أبو القاسم، الحسن بن بشر الأمدي، المؤلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1381هـ/1961م) ص117.

(4) أبو عباد، الوليد بن عبيد البحتري، حماسة البحتري، تحقيق: لويس شيخو (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1387هـ/1967م). ص82. وانظر ما ينسب لتبع، أخبار عبيد، ضمن كتاب، وهب بن منبه، التيجان (الهند - حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1347هـ) ص459، 462.

وحتى تجروا الغُرَّ من رمل عالِج

إلى أهل جوٍّ أو تجروا المشقراً⁽¹⁾

كما قال:

لعمرك لا يرقى الكليبيُّ منزلاً

برهط كليبٍ أو يحلَّ المشقراً⁽²⁾

وقال مالك بن نويرة:

أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم

كما لا يريم الأسبذيُّ المشقراً⁽³⁾

وقال يزيد بن مفرغ:

هتافاً تدعو صدي

بين المشقرواليمامة⁽⁴⁾

وذكره شريح بن هانئ الحارثي، فقال:

«وباجميراوات والمشقراً»⁽⁵⁾

تصحيف في (المشقر)

ذكر أبو الخير قول قيس بن عاصم، في أبجر العجلي، عن مخطوطة كتاب

الردة:

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج 1، ص 234.

(2) المصدر نفسه، ص 487.

(3) ياقوت، معجم البلدان، (أسبذ).

(4) المبرد، ج 1، الكامل، ص 373. وما في ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، ص 214: (هامة تدعو الصدى)، لا يستقيم مع التركيب.

(5) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، العثمانية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1374هـ/1955م) ص 1258.

يقود إلى الإسلام بالجهل جحفاً لينهب أموال الصفا و(المشعر)

وعلق عليه:

«الأسلوب الكنائسي اللطيف: لينهب أموال الصفا والمشعر؛ يعني: أموال الزكاة».⁽¹⁾

وهذا تصحيح، فالشاعر قال هذا في حروب الردة في بلاد البحرين هنا، ولم يقصد ما قصده أبو الخير، وإنما يقصد (الصفا) بهجر، وكذلك (المشقر) فيه.

علاقة يوم (الصفقة) بـ(المشقر)

قال عامر بن الطفيل:

إن تسألني الخيل عنا في مواقفها

يوم المشقر والأبطال في زعج⁽²⁾

وهذا غزو ضد عبد القيس، أهل (المشقر)، ولا علاقة له بـ(يوم المشقر) بين تميم وفارس، يقول عامر:

وعبد القيس بالمرء لاقت

صباحاً مثل ما لقيت ثمود

صبحناهم بكل أقرب نهد

رقيق الحد زيننه غمود

(1) محمود بن عبد الله أبو الخير، (شعر حروب الردة بين التاريخ والفن)، الدارة، س15، ع2 (المحرم- ربيع الأول، 1410هـ/ أغسطس - أكتوبر، 1989م) ص146.

(2) ابن الطفيل، ديوان عامر بن الطفيل، ص37.

إلى أن يقول:

وأردفنا نساءهم وجئنا

وقد دُميت من الخمش الخدود⁽¹⁾

على أن قول عامر بن الطفيل:

أردتُ لكي لا يعلم الله أنني

صبرتُ وأخشى مثل يوم المشقر⁽²⁾

الذي ربطوه بيوم الصفقة (في المشقر)، بين الفرس وتميم، يجوز هنا فقط، على سبيل التمثيل، لا على أن بني عامر اشتركت في هذا اليوم قط، وكما جاء في تفصيل الحادثة.

وقال حميد بن ثور:

لقد غادر الموت قبل الصفا

وبعد المشقر قدراً جليلاً⁽³⁾

الخلط بين الأسماء

المشقر بالحجاز

ومع ذلك الإجماع على كون (المشقر)، هو المبرز، بالأحساء (هجر)، فإن تلك الأشعار هي التي تنطبق عليه فقط، أما ما عداها، فلا يتوافق إطلاقاً مع كونه، حتى على ما رآه الجاسر:

(1) المصدر نفسه، ص 49 - 51.

(2) أبو العباس، الفضل بن محمد الضبي، الفضليات، تحقيق: كارلوس يعقوب لایل، (بيروت: مطب الأباء اليسوعيين، 1920م) ص 708.

(3) الخالديان، الأشباه والنظائر، ج 2، ص 343.

«في هجر... الأحساء... بقرب عين الجوهريّة، في قرية البطّالية».

فهذه قرية زراعية متواضعة كثيراً، قريبة منها (عين الجوهريّة)، عين ماء ارتوازيّة، وليست نهراً متساقطاً من سفوح شاهقة، أو حتى عالية نسبياً، وهي كذلك، بعيدة عن الآكام التي تحفّ بقرية (العيون)، والتي تأتي غريباً منها. وحتى هذه الجبيلات هي عبارة عن آكام، وليست جبلاً.

وليس هذا فقط، ذلك أن قول عبيد بن عبد العزى السلامي:

وَمُرْتَجَزٌ جَوْنٌ كَأَنَّ رَبَابَهُ

إِذَا الرِّيحُ زَجَّتْهُ هَضَابُ الْمَشْقَرِ

يَحُطُّ الْوُعُولُ الْعُصْمُ مِنْ كُلِّ شَاهِقٍ

وَيَقْدِفُ بِالثَّيْرَانِ فِي الْمُتَحِيرِ⁽¹⁾

وهنا لدينا (هضاب)، أي: سلسلة جبلية، ضخمة، مرتفعة، ممتدة، تفوق تصوّرها جبلاً محدود المكان، كذلك المطل على (خيف منى)، ولا تحتملها حتى أرض (البطالية)، أو (المبرز)، بل أرض الأحساء كلها، كما أنها لا تتناسب مع كونها موضع كسر للصخور، في تناول الناس، حسبما يفهم من قول أبي ذؤيب.

وعبيد بن عبد العزى السلامي، الزهراني، يصف مجيء سحب، والسحاب القادم على سراة غامد وزهران -وهي سراة مرتفعة- يأتي من الغرب، أي: الجبال الشاهقة المطلة على بلاد غامد وزهران من الغرب، فهذه هي التي يمكن أن ينطبق عليها قوله.

وبالتالي، فهذه الجبال التي ينبغي أن تكون في (السراة) غرباً، هي التي تتوافق مع قول الأعرابي، من بكر بن وائل:

وَلَمَّا بَنَيْتَ لِي الْمَشْقَرِ فِي

هَضْبٍ تَقْصُرُ دُونَهُ الْعُصْمُ⁽²⁾

(1) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة (بيروت: مط الرسالة، ط1، 1402هـ/1982م) ص129.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (الأغدة).

ذلك، أنه يستحيل أن يكون هناك جبل في (البطالية) أو (المبرز)، بالأحساء،
أو في الأحساء كلها:

.....

هضاب تقصر دونه العُصم

وعلاوة على هذا، فإن (الوعول العصم): ليست من حيوانات المنطقة الشرقية في كل أرجائها، ثم إن الطبيعة الطبوغرافية لا تتناسب مع وجود (هضاب) هناك، وكذلك (الثيران): وإن لم يعن به البقر الوحشي؛ لأن البقر الوحشي مسكنها الرمال، إنما يعني حيوانات وحشية مثلها.

وهذا يدفعنا إلى التفكير في مصدر هذا التصور، إذ يتضح أن مصدره هو (هضاب المشقر)، في السراة غرباً، وأن (المشقر): اسم (حصن) أو (قصر)، أي: بناء يتصور الناس أنه كان مقاماً على هذه الجبال، وربما نسبوه إلى خوارق طبيعية، فكان الاسم يُتناقل، حتى أصبح ذلك البناء، الفريد يوماً ما في الأحساء، رمزاً للمنة والعظمة.

على أن هذا يدعونا إلى التساؤل عن توجيه الموضع نحو (هجر) (الأحساء)، المنطقة الزراعية المتواضعة، فما الذي يدفعنا إلى هذا، والطبيعة الطبوغرافية لها غير مناسبة لإقامة مثل ذلك البناء. فمثلاً، حين يقول الحارث بن خالد المخزومي:

أمن طلل بالجزع من مكة (السُّدر)

عفا بين أكناف (المشقر) ف(الحضر)⁽¹⁾

وأغلب الظن أن تحريفاً شديداً دخل البيت، فلعله (المعرف)، وربما شمل

(1) الحارث بن خالد المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: يحيى الجبوري (النجف: مطبوعات النعمان، 1392هـ/1972م) ص84.

التحريف أيضاً (الحضر)، وكذلك، (السدر). ولا يمكن أبداً أن يكون هذا هو: (المشقر): في قرية (البطالية)، بالأحساء أو حتى (المبرز). بل يجب أن يكون في مكة، فكل أطلال المخزومي فيها، فمن ذلك قوله:

هل تعرف الدار أضحت أيها عجماً

كالرق أجرى عليها حاذق قلماً⁽¹⁾

وقوله أيضاً:

يا دار أقضر رسمها

بين المحصب والحجون⁽²⁾

وهنا نعود إلى ما ورد في قول أبي ذؤيب:

حتى كآني والحوادث مروية

بصفا المشرق كل يوم تقطع

الذي وردت فيه رواية أخرى هي: (المشقر)؛ ولعل ذلك جائز، وهو غير هذا الذي يرد في قول المخزومي؛ إلا أنه ليس جائزاً في قول المخزومي، وإن يكن يوثق رواية (المشقر) في قول أبي ذؤيب؛ لأنه يقول: «أكناف المشقر» فهذا جبل ضخمة، له (أكناف)، وموضعه واضح أنه في مكة، وفي (منى)، حيث (مسجد الخيف)، فقد قالوا:

«المشرق: المصلى؛ ومسجد الخيف: هو المشرق»⁽³⁾.

وهذا ينطبق على قول المخزومي، ولا ينطبق على قول أبي ذؤيب، إلا أنه

(1) المصدر نفسه، ص129.

(2) المصدر نفسه، ص144.

(3) أبو سعيد، الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مطب المدني، 1384هـ/1965م) ج1، ص9.

ليس:

«المشرق: المصلى؛ ومسجد الخيف: هو المشرق».

المشقر بالعراق

قال المخبل:

لعمري لقد خارت خفاجةُ عامراً

كما خيرُ بيت في العراق المشقر

وواضح من قوله، أن الموضع بالعراق، وهذا هو الذي قال عنه البكري:
«المشقر: قصر... وبنى المشقر معاوية بن الحارث بن معاوية، الملك
الكندي».⁽¹⁾

وليس كما يراه العبودي بالأحساء، وأنه الذي بناه معاوية بن الحارث.⁽²⁾
ونتيجة لهذا، تخلط الكتابات القديمة والحديثة في نسبة كندة إلى الأحساء
(هجر)، ولم يكونوا هناك قط.

وفي هذا يقول الشماخ:

وأعرض من خَفَانُ أَجْمُ يَزِينُهُ

شماريخ باها بانياه المشقرا⁽³⁾

كندة وعلاقتها بـ (المشقر): بالأحساء

رأينا تَوّاً كيف فهم العبودي من ذكر (المشقر) أنه بالأحساء في قول المخبل،
على الرغم من قوله: (في العراق المشقر). ونجد جواد علي، يذكر أن امرأ

(1) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

(2) محمد بن ناصر العبودي، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ) ج4، ص1409.

(3) الشماخ بن ضرار الذبياني، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، 1968م) ص377.

القيس:

«ولد ببلاد بني أسد، وأنه كان ينزل بالمشقر، وهو موضع ذكر في شعره»⁽¹⁾. وإذا ما ذكر امرؤ القيس موضعاً، على طريقة التمثيل، فهذا لا يعني أنه زاره، أو شاهده، وإنما هذا جزء من الثقافة الأدبية. وامرؤ القيس لم ينزل (المشقر) (بهجر-المبرز)، ولم يأت أصلاً إلى هذه المنطقة حتى ينزل بها. وحتى الأخبار عن ابن الجون الكندي في الأحساء، أخبار لا سند لها من وقائع التاريخ بتاتا. يقول امرؤ القيس:

أبعد أبي في حصن كندة سيّداً

يسود جموعاً من (جيوش) وبربرا

ويغزو بأعراب اليمانيّين كلهم

له أمره حتى يحلّ المشقّرا⁽²⁾

وهذا قول لا يتّسق مع معطيات التاريخ أبداً، ف(المشقر): حصن هجر، كان في عصر دولة كندة، في يد الفرس، لا يتنازلون عنه. وإذا فهمنا قوله السابق:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللائي يلين المشقّرا

على أنه في (المشقر) بالأحساء حقيقة، فلا ينبغي أن نعمّم ذلك على قوله حكاية عن مال أبيه؛ فتلك صورة اعتيادية في وصف الطعائن، أما هذه فواقع، والواقع التاريخي يشير إلى (المشقر) بالعراق، فلذلك قال: «إن

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1968م) ج3، ص361. وانظر، الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص79.

(2) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص269. (جيوش): مصحف، صوابها (جُيوش)، أي: الأحباش.

صدقاً وإن كذباً». فهذا امرؤ القيس نفسه يذكر العراق، ولا يذكر (هجر)، يقول:

أبعد الحارث الملك ابن عمرو

له ملك العراق إلى عُمان⁽¹⁾

ذلك أنه ليس من أملاكه الأحساء قطعاً، وإنما جاءت نسبة امرئ القيس، وكندة عامة- من التعلق بمثل ما أورده البكري: المشقّر: مدينة هجر، وبنى المشقّر معاوية بن الحارث بن معاوية، الملك الكندي، وكانت منازلهم ضرية، فانتقل أبوه الحارث... ثم بنى ابنه المشقّر، قال امرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

(2)

فخلط البكري تلك النتيجة التاريخية الخاطئة، اعتماداً على هذا البيت الوصفي، والذي لا علاقة له بكندة.

هجر

هذه هي (هجر): الأحساء- في المنطقة الشرقية، بالملكة العربية السعودية، فهي معلومة معروفة.

ذكر (هجر) بشكل عام

قال أحدهم:

(1) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص143.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (المشقر).

تَضَمَّنَ قَيْسٌ لَهُ ذِمَّةٌ

فَحَطَّ بِهَا رَحْلَهُ فِي هَجْرٍ⁽¹⁾

وقال آخر:

تَحَسَّبَ أَنَا قُرْبَ هَجْرٍ⁽²⁾

وقال الأخطل:

على العيارات هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ

نَجْرَانُ أَوْ حُدِّثَتْ سَوَاتِهِمْ هَجْرٍ⁽³⁾

وقال جندل بن المثنى الطهوي:

ومثلهم من بَصْرَةٍ وَمِنْ هَجْرٍ⁽⁴⁾

وقال العجاج:

إِذَا حَسَبُوا أَنَّ الْجِهَادَ وَالظَّفَرَ

إِيضَاعُ بَيْنِ الْخَضِرَمَاتِ وَهَجْرٍ⁽⁵⁾

وقال عكاشة بن أبي مسعدة السعدي:

قَدْ وَرَدَتْ وَالظِّلُّ آزٍ قَدْ جَحَرَ

جَاءَتْ مِنَ الْخَطِّ وَجَاءَتْ بِي هَجْرٍ⁽⁶⁾

وقال الفرزدق:

(1) الواقدي، كتاب الردّة، ص158.

(2) الزبيدي، التاج، (هجر).

(3) الأخطل، شعر الأخطل، ج1، ص209.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (المنكدر).

(5) البكري، معجم ما استعجم، (الخضرمات).

(6) الزبيدي، التاج، (جحر).

ساروا على الريح أو طاروا بأجنحة

ساروا ثلاثاً إلى البحار من هجراً⁽¹⁾

وقال أبو نواس:

يَمُّ مَنْ مِنْ جَنْبِي هَجْرٌ

أخضرَ طَمَامِ العُكْرِ⁽²⁾

وقالت، (خضرمة): الزرقاء بنت زهير؛ كاهنة بني تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان:

لَا تُنْكِرِي هَجْراً مَقَامَ غَرِيبَةٍ

لَنْ تَعْدِمِي مِنْ ضَاعِنِينَ تَهَامِ⁽³⁾

وهذه من الأخبار غير الموثوقة، إذ إن (تغلب بن حلوان) -وهو غير تغلب بنت وائل، أخت بكر- قبيلة قديمة جداً، وهي من قضاة، وتحرك قضاة كان نحو غرب الجزيرة العربية وبلاد الشام!

البناء والعمارة بهجر

يتبين من الإشارات إلى البناء والعمران بـ(هجر) أن الوضع العمراني كان متقدماً جداً فيها، وأن أبنيتها كانت ذات أحجام كبيرة، حتى إنهم ركزوا على القصور (عقر)، (مجدل)... وحرصوا على التفنن في هندستها «على مثال»، وعلى تحديد نوع مواد البناء المستعملة فيها؛ بل تدل الإشارة إلى أن العمران كان فيها مستمراً متطوراً «بذوات طيخ أطيمة لا تخمد»، وأمر آخر ذو قيمة في التركيبة السكانية لـ(هجر)، وهو أن المستوى الحضاري كان

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص386. في الحاشية: (البحار: بئر بظاهر البصرة).

(2) أبو نواس، الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987م) ج1، ص314.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص22.

راقياً، لا ينظر للمهن نظرة دونية، سواء عمرانياً، أو زراعياً، ولا يأنف من ممارستها، هو الشائع عند نظرائهم البدو. يقول الطرماح:

حَرَجٌ كَمَجْدَلٍ هَاجِرٍ لَزَهُ

بَذَوَاتٍ طَبَخَ أَطِيْمَةً لَا تَحْمُدُ⁽¹⁾

ويقول لبید:

كَعَقَرِ الْهَاجِرِ إِذَا ابْتَنَاهُ

بِأَشْبَاهِ حُذَيْنٍ عَلَى مِثَالِ⁽²⁾

الحالة الاقتصادية لـ (هجر)

لا شك أن شهرة (هجر) بتصدير التمور الفاخرة، والقابلة للتخزين، والتي كانت تشكل العصب الاقتصادي لهذا البلد، بحيث يحقق الرخاء والرفاهية، ويستقطب إليه التجمع السكاني، لما يحظى به من مياه جوفية متدفقة عميقة، جارية، كان هو موضع التركيز واللافت للأنظار؛ يقول أحدهم:

حُبْسَنَ بَيْنَ رَمْلَةٍ وَقَفَّ

وَبَيْنَ نَخْلٍ هَجَرَ الْمَلْتَفِ⁽³⁾

وذكرها ابن الدمينه، فقال:

كَأَنَّهَا دُلْحٌ يَسْقِي جَدَاوِلَهَا

مَحْلَمٌ حَيْثُ أَدَّتْ خَرْجَهَا هَجَرَ⁽⁴⁾

(1) الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الشروق العربي، ط2، 1414هـ/1994م) ص112.

(2) ابن ربيعة، شرح ديوان لبید، ص76.

(3) أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957م) ج2، ص100.

(4) عبد الله بن الدمينه، ديوان ابن الدمينه، تحقيق: أحمد راتب النفاخ (القاهرة: مط المدني، 1379هـ) ص67.

وقال ذو الرمة:

كَأَنَّ أَضْعَانَ مَيِّ إِذْ رُفِعَ لَنَا

بِوَأْسِقِ النَّخْلِ مِنْ يَبْرِينَ أَوْ هَجْرًا⁽¹⁾

ولقد أكثر الفرزدق من ذكر (هجر)؛ لأنها قريبة من ديار قومه، ولأهميتها بالنسبة للامتياز من أسواقها، فقال:

وَأَقْرَبَ الرِّيفِ مِنْهُمْ سِيرٌ مَنْجَذِبٌ

بِالْقَوْمِ سَبْعَ لَيَالٍ رِيفُهُمْ هَجْرٌ⁽²⁾

وقال:

إِنْ تَمْنَعِ التَّمْرَ مِنْ رَازَانَ مَائِرَنَا

فَلَسْتَ مَانِعٌ جُلَّ الْحَيِّ مِنْ هَجْرًا⁽³⁾

وقال كذلك:

وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَرَادٌ لِعَقْبِهِ

وَفِي هَجْرٍ تَمْرٌ ثَقَالٌ جَلَّالُهُ⁽⁴⁾

وقال القطامي، وهو بعيد عن (هجر)، من أهل الجزيرة الفراتية، وإنما ينقل ما يتردد عن شهرة تمور (هجر):

وَلَا التَّمْرَ الْمُكَمَّمُ حَوْلَ حِمَصٍ

إِذَا مَا حَانَ مِنْ هَجْرِ الْجُزَارِ⁽⁵⁾

(1) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج2، ص1155.

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج1، ص222.

(3) المصدر نفسه، ص284.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص665.

(5) عمير بن شبيب القطامي، ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (بيروت: دار الثقافة، ط1، 1960م) ص147.

وقال ابن مقبل:

ثم ارتحلنا أنيًّا بعد تضحية

مثل المخاريف من جيلان أو هجر⁽¹⁾

النسبة إلى هجر وعلاقتها بالحالة الاقتصادية والعمرائية

على أن شعراً كثيراً جاء بنسبة التمر إلى (هجر)، أما النسبة إلى (هجر)، فجاءت في مثل قول أحدهم:

بَسَرْتُ نَدَاهُ لَمْ تُسَرِّبْ وَحُوشَهُ

بَغْرُبْ كَجَنْعِ الْهَاجِرِيِّ الْمَشْدُبِ⁽²⁾

وقال غيره:

وَرَبُّ غَارَةٍ أَوْضَعَنَ فِيهَا

كَسَخِ الْهَاجِرِيِّ جَرِيمِ تَمَرِ⁽³⁾

وقال الحطيئة:

رَشَاشُ كَغْرَبِي هَاجِرِي كَلَاهِمَا

لَهُ دَاجِنٌ بِالْكَرَّتَيْنِ عَلِيفِ⁽⁴⁾

وقال عوف، من بني الهَجِيم:

فَأَبْرَزَ طَاهِينَالَهُ هَجْرِيَّة

وَفِي كَيْلِهَا بِالْقَنْقَلِ الْمَتْرَاغِبِ⁽⁵⁾

(1) تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مطب مديرية إحياء التراث، 1381هـ/1962م) ص92.

(2) ابن منظور، اللسان، (بسر). وهو في لبيد، شرح ديوان لبيد، ص12.

(3) الزبيدي، التاج، (هجر).

(4) جرول بن أوس، الحطيئة، ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: مطب مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1378هـ/1958م) ص253.

(5) أبو العلاء، صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي، الفصوص، تحقيق: عبد الوهاب التازي سعود (المغرب:

وقال العجير:

كمتاً وشقراً ووراداً شزباً

مثل جريم الهجري المتسق⁽¹⁾

وقال الفرزدق:

أتهم بعير لم تكن هجرية

ولا حنطة الشام المنبت حميرها⁽²⁾

وقال كذلك:

ولولا رجائي فضل كفيك لم تعد

إلى هجر أنضاؤنا لرُجوع⁽³⁾

وقال لبيد:

تشق الأحزّة سلافنا

كما شقق الهاجري الدبارا⁽⁴⁾

وسبق أن رأينا الطرماح ينسب العمارة إلى (هجر)، في قوله:

حرج كمجدل هاجري لزه

بذوات طبخ أطيمة لا تخمد

وجاءت تثنية (هجر) في قول الفرزدق:

مط فضالة، 1423هـ/1993م) ج 5، ص 226.

هجرية: أي نوع من التمر. القنقل: مكيال ضخمة. المترغب: الواسع.

(1) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير (حيدر آباد: مط مجلس دائرة المعارف العثمانية،

1368هـ/1949م) ج 1، ص 53.

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج 2، ص 459.

(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 493.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (حواء).

ولو أني بصين استان أهلي
وقد أغلقت من هجرين باباً⁽¹⁾

مرداء هجر

جاء في اللسان:

«مرداء هجر: رملة دونها، لا تثبت شيئاً».⁽²⁾

وقال الجاسر:

«مرداة هجر: بقرب مدينة هجر، ليس معروفاً الآن... شرقي واحة الأحساء».⁽³⁾

وقوله: «بقرب مدينة هجر» مقبول، أما أنها شرقها، فالصور الشعرية تجعل الموقع جنوب غرب واحة الأحساء. يتبين هذا من قول عامر بن الطفيل الذي كان يقدم من غرب اليمامة:

وبالمردات قد لاقين غنماً

ومن أهل اليمامة ما بغينا⁽⁴⁾

ومن قول الراجز:

هلا سألتكم يوم مرداء هجر

إذ قابلت بكر وإذ فرّت مضر⁽⁵⁾

فبكر وتميم تصطرعان غرب الأحساء، وليس شرقها.

(1) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج 1، ص 92.

(2) ابن منظور، اللسان، (مرد).

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج 4، ص 1600.

(4) ياقوت، معجم البلدان، (المردات).

(5) ابن منظور، اللسان، (ردي). وانظر، (مرد).

ومن ثم يأتي قول الراعي:

.....

ومن بالمرادي من فصيح وأعجم

على أن «المرادي: جمع مرداء هجر»⁽¹⁾.

وعليه، يكون قول العبيد:

«مَلْد: جبل يقع إلى الغرب من الأحساء»⁽²⁾.

ليس دقيقاً، فاللسان ذكر أنها (رملة)، وهو ما يؤيده قول عامر بن الطفيل السابق من كون «مرداء هجر»: جنوب غرب الأحساء.

الوضع السياسي لـ(هجر)

رأينا الفرزدق قبل قليل يقول:

ولو أتي بصين استان أهلي

وقد أغلقت من هَجَرِينَ بابا

أي: أن (هجر) المدينة كانت محصنة بأسوار منيعة، ولها أبواب، وبالتأكيد هناك حُرَّاس، ولاشك أن الحامية الفارسية كانت تقيم بداخلها. وقال طرفة:

أعطاك أهل الطود عن عرض

سيفَ صَحَّارِ كلِّها وهجر⁽³⁾

(1) المصدر نفسه.

(2) العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، ج2، ص292.

(3) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مطبوع مجمع اللغة العربية، 1395هـ/1975م) ص163.

وهو يشير إلى عمرو بن هند، ملك الحيرة، وبالطبع، فليس لعمرو سلطة على ما بداخل أسوار (هجر)، إذ هي خاضعة مباشرة للنفوذ الفارسي، غير أن الفرس تركوا مسؤولية السيطرة على القبائل البدوية النازلة فيما حول (هجر) للمناذرة. وقال الفرزدق، وهو بذلك يشير إلى ما حدث في الإسلام من حروب:

منهن أيام صدق عُرفن بها
أيام فارس والأيام من هَجَر⁽¹⁾

وقال:

لَقُوا مِنْ سَارِ مَنْ هَجَرَ إِلَيْهِمْ
بَنَحَسَ النَجْمَ وَالْقَمَرَ الْمُحَاقِ⁽²⁾

الطريق من هَجَر (الأحساء) إلى الحيرة
ليس بين أيدينا شعر يدل على الطرق السالكة بين (هجر) و(عُمان)، ولا بين (هجر) والساحل الغربي للجزيرة العربية، على الرغم من وجود هذا في النثر، يقول المثقب العبدى:

إِذْ لَمْ أَجِدْ حَبْلًا لَهُ مَرَّةٌ
إِذْ أَنَا بَيْنَ الْخَلِّ وَالْأَوْبَدِ⁽³⁾

ولم تذكر المعاجم الجغرافية، لا تحديد (الخل)، ولا تحديد (الأوبد)، وإن كان المفترض أن يكونا موضعين في تلك الجهة من دياره غرب الأحساء، أي:

(1) الزبيدي، التاج، (هجر).

(2) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج2، ص590.

(3) المثقب العبدى، ديوان المثقب العبدى، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1391هـ/1971م) ص17.

أن البدو من عبد القيس، الذين ليسوا بحاضرة، فهم هنا في بادية الأحساء الشرقية، وهم هناك في غربها، يقول موضّحاً انتشارهم فيما بين ذلك:

كُلُّ يَوْمٍ كَانَ عِنَّا جَلالاً

غَيْرَ يَوْمِ الحِنُوِّ فِي جَنْبِي قَطَر

وهو هنا يتحدّث عن إغارة عمرو بن هند على هذه الجهة من شرق الأحساء، فيقول:

ضَرَبْتَ دَوْسَرَ فِينَا ضَرْبَةً

أَثَبْتَ أَوْتَادَ مَلِكٍ مُسْتَقِرِّ

صَبَحْتَنَا فِيلَقٌ مَلْمُومَةٌ

تَمَنَعَ الْأَعْقَابَ مِنْهُمْ الْآخِرُ⁽¹⁾

يتحدّث المثقب العبدى هنا حقيقة عن بادية عبد القيس (لُكَيْز)، وليس عن حاضرتها؛ لأن الحاضرة تحت الحماية الفارسية مباشرة، بينما يقوم المناذرة بإخضاع البدو، يقول:

فَأَنْعَمَ أَبَيْتُ اللَّعْنَ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ

لَدَيْكَ لُكَيْزٌ كَهْلُهَا وَوَلِيدُهَا⁽²⁾

أما عن غرب الأحساء، فيصف رحلة ظلعائه انطلاقاً منه، في قصيدته النونية، وهو ما يعني أن موطنه هناك، فيقول:

لَمَنْ ظَلَعُنْ تَطَلَّعَ مِنْ ضُبَيْبٍ

فَمَا خَرَجْتَ مِنَ الْوَادِي لِحَيْنٍ

(1) المصدر نفسه، ص 71 - 76.

(2) المصدر نفسه، ص 83 - 116.

تبصّر هل ترى ظعنًا عَجَلاً
 بجنب الصُّحُحانِ إلى الوَجِينِ
 مَرَرْنَ على شَرافِ فِذاتِ (هَجَل)
 وَنَكَبْنَ الذَّرَانِجَ باليَمِينِ
 وَهَنَ كِذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلَجاً
 كَأَن حُدُوجَهُنَّ على سَفِينِ⁽¹⁾

وفي ضوء هذه الأبيات نستنتج خطَّ رحلة ظعائن المثقب العبيدي على هذا النحو التالي:

وحسب تحديد القدماء، فهذه المواضع كالتالي:

(ذات) رجل: موضع بالبحرين.⁽²⁾

الذّرانج: موضع بين كاظمة والبحرين... وهذه كلها مواضع من البحرين إلا فلجاً.⁽³⁾

شَراف: بين واقصة والقرعاء.⁽⁴⁾

فلج: وادٍ يفرّق بين الحزن والصَّمَانِ.⁽⁵⁾

وإذن، فقد كان فهم القدماء فهماً صحيحاً كل الصحة، ذلك أن التصور وحده يقود إلى أن الرحلة تتطلق من ديار (المحبوبة)، ومواطن الشاعر

(1) المصدر السابق، ص 142 - 148.

(2) البكري، معجم ما استعجم، (ذات) رجل. هذه هي رواية البكري، والمثقب، ديوان المثقب، (ذات هجل). وانظر، الجاسر، شمال المملكة (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1397هـ/1977م) ج2، ص772.

(3) البكري، معجم ما استعجم، (الذّرانج). وفي رسم ياقوت، معجم البلدان، (الذّرانج)، ذكر هنا أيضاً رسماً آخر هو: (الذرايح).

(4) ياقوت، معجم البلدان، (شَراف).

(5) المصدر نفسه، (فلج).

الأولى، وهو الواقع فيما يخص الأطلال ورحلة الطعائن، أما أن تتجه الرحلة من ديار الأعداء، (الحيرة) هنا، فهذا أمر غير مألوف على الإطلاق، وغير واقعي، وهنا نحن أما شاعر من بلاد البحرين، التي كان القدماء حريصين جداً على تحديدها، حتى إن البكري جعل (كاظمة) فاصلة بين البحرين، فالبحرين تأتي أعلى منها، وكان البكري دقيقاً عندما جعل (ضبيب)، في بلاد عبدالقيس، بلاد الشاعر، وموطن المحبوبة: في شرق الجزيرة العربية، وتحديدًا يمكننا أن نقول: بَوادي الأحساء من الغرب، ثم تصعد، فتلتقي بـ(الذرائع)، ماراً بـ(مرتفعات) هي (شراف)، ومسائل أودية منها (ذات) رجل.

وعلى هذا، فإن بقية المواضع تأتي عندهم بحسب التحديد التالي:

ضبيب: موضع ببلاد عبدالقيس.⁽¹⁾

تبعد نحو ميل ونصف ميل في الشمال الشرقي من ضُبَيْيَّة.⁽²⁾

ضُبَيْيَّة: تبعد 12 ميلاً، نحو الشرق من جبل الأبتلة.⁽³⁾

البَتِيل: (قرب) ثاج.⁽⁴⁾

الضُّبَيْب: ماء تابع لإمارة النعيرية.⁽⁵⁾

وهذا هو المناسب للطريق، على أقل تقدير، وإن لم يقصده الجاسر. ومن هنا، من (النعيرية) باتجاه (حضر الباطن) (فلج) تمر الطعائن الخارجة من الأحساء باتجاه الحيرة.⁽⁶⁾

(1) البكري، معجم ما استعجم، (ضبيب).

(2) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج 1، ص 418.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه، ص 200.

(5) العبيد، موسوعة المنطقة الشرقية، ج 2، ص 92.

(6) ياقوت، معجم البلدان، (ضبيب).

يقول ابن بليهد:

«شَراف موضع في شرقي نجد، يعني بهذه الرحلة إحدى رحلتي وادي
الرشا».⁽¹⁾

وهذا غير صحيح، فما الجامع بين (شرقي نجد) و(وادي الرشا)، وقد
جمع الشاعر بينهما بالفاء.

وجاء في ياقوت:

صُبَيْب: بركة على يمين القاصد إلى مكة من واقصة، على ميلين من الجُويّ،
وقد روي: صُبَيْب - بالفتح والكسر - في قول المثقب العبدى:

لَمَنْ ظَعْن

وفي شعر مضر بن ربيعي... (صُبَيْب) - بالضاد - ...:

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ

إِذَا مَلَنَ مِنْ قُفٍّ عَلَوْنَ رَمَالًا

عَوَائِدَ يَجْعَلْنَ الصَّفَاةَ وَأَهْلَهَا

يَمِينًا وَأَثْمَادَ الضُّبَيْبِ شِمَالًا

لِيُبْصِرْنَ أَجْلَادًا مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَمَا

تَصَيِّفْنَ قُفًّا وَارْتَبَعْنَ سَهَالًا⁽²⁾

ثم إن الجاسر يحدد:

«منهل شراف لا يزال معروفًا، داخل الحدود العراقية، ويقع شمال واقصة،
ومجاوراً لها، يمر به درب يدعى: درب الخايف، يأتي من الشُّبْرَم... من

(1) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ج 1، ص 246.

(2) ياقوت، معجم البلدان، (صُبَيْب).

مناهل الحَجَرَة...»⁽¹⁾

ويقول، وهو هنا متأثر برأي موزل:

«شراف: قريبة من صبيب. صبيب: منهل يدعى الآن: بئر صُمَيْت، يقع جنوب اللَّصَف بما يقارب 20 كم، وشمال الحميمية بنحو ذلك... في الشمال الغربي من (واقصة)، على مسافة بعيدة، ويمرّ به طريق يمرّ بواقصة، ثم شَراف ويدعى: درب الخايف»⁽²⁾.

ويأتي الجاسر ثانية، ليقول:

«فلج: يقع شرق تلك المواضع التي... منها شراف، وصبيبا والرَّجل، وبلاد البحرين كلها تقع جنوب فلج وشرقه، وتلك المواضع تقع شماله، ولهذا، فهي تقع غرب كاظمة، بعيدة عن بلاد البحرين»⁽³⁾.

ثم يقول:

«المتقدمون... استثنوا فلجاً، ولم يلاحظوا أن فلجاً في كلامه، يقع شرق ما ذكر من مواقع، وأن بلاد البحرين كلها تقع شرق فلج»⁽⁴⁾.

ويقول:

«الظعن... متجهات من الغرب نحو الشرق»⁽⁵⁾.

والذي لا شك فيه أن موزل، والجاسر اعتمدا على التقارب الصوتي، فظننا أن (صميت) هو (ضبيب). وهكذا، وجّه الجاسر الرحلة والمواضع تلك التوجيهات، حتى إنه ليقول:

(1) الجاسر، شمال المملكة، ج2، ص711. وانظر، ص774.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص773 - 774.

(3) الجاسر، المنطقة الشرقية، ج2، ص723.

(4) الجاسر، شمال المملكة، ج2، ص774.

(5) المرجع نفسه، ص775.

«مفهوم قول المثقب أن الظعن التي وصفها سرن من صبيب، فمررن على شراف فذات رجل، ونكبن الذرانح ذات اليمين، فهن متجهات من الغرب نحو الشرق»⁽¹⁾.

وكل ما قاله الجاسر، ورآه موزل، لا ينطبق على قول المثقب، وإنما ينطبق على قول مضرّس فقط.

حتى إن (صبيب) في قول المثقب، الذي انطلقت ظعائنه من شرق الأحساء تحديداً، باتجاه حفر الباطن نحو الكوفة، والتي لا تمرّ بحال من الأحوال بأية جهة من الكويت، لا يكون أبداً هو الموضع المعروف الآن:

الصبيب: أبار في الشمال الشرقي، تقع شمال الصّبية... والصّبية: أرض أثرية، وفيها بعض الأطلال المدفونة... تبعد الصّبية مسافة 60 كم تقريباً عن العاصمة (الكويت)⁽²⁾.

(1) المرجع نفسه، ص775.

(2) انظر، حمد محمد السعيدان، الموسوعة الكويتية المختصرة (الكويت: وكالة المطبوعات، ط2، 1981) ج2، ص862.

الخاتمة

يبدو أن الستار أُسْدِلَ على مواضع تحمل موضوعات، فلقد انعقدت الآراء في الأدبيات القديمة، منذ تسجيلها الأول على أن (عينين) بالبحرين، واختلط ذكر البحرين بهجر حتى برز إلى السطح ذكر (الجبيل) على أنها (عينين)، وانحلَّ هذا الإشكال بالتركيز على واقع كلٍّ من (الجبيل) و(هجر) (الأحساء)، وإثبات عدم وجود علاقة بتسمية (الجبيل) بها. ولم تُعدَّ (سماهيح) مشكلة، على الرغم من ذهاب المرجعيات كلها إلى أنها تلك القرية في شمال المحرق، بالبحرين؛ لأن القاعدة التي بُنِيَ عليها كانت خاطئة منذ البدء، فالتمر لا يُجلب بالابل منها قطعاً، وإنما يُجلب من الأحساء، ف(سماهيح) في الأحساء. أما (المشقر)، فاختلط ذكره بغيره، حتى زُجَّت (عماية) في وسط نجد به، بل أصبح التاريخ جزءاً منه، أي: جعل وجود كندة فيه، نتيجة لعدم فهم قول امرئ القيس الذي جاء تمثيلاً، وليس تحقيقاً. وهكذا، فهم من ذكر (الشبعان) في قول عدي بن زيد العبادي على أنه جبل (القارة)، وهو لا يعنيه أبداً. بل إن مسمّى الأحساء نفسها جاء من منابع مياه في الطرف الشرقي من (هجر)، فانسحب مؤخراً على (هجر) ذاتها، مثلما عُرف تدريجياً (البحرين)، ذلك الإقليم المتسع (شرق الجزيرة العربية)، لـ(أوال)، وشمل، من ثم، (سماهيح) (المحرق) بها.

وإذن، كان هذا العمل إعادة قراءة لما دار حول مواضع محدّدة جداً، في محافظة الأحساء، كان لابدّ من كشف حقيقتها، دون الاستمرار في تداولها على علاقاتها.

المصادر والمراجع

- آل عبد القادر، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن، تحفة المستفيد بتاريخ الأَحْساء في القديم والجديد (الرياض: مط الناشر العربي، 1419هـ / 1999م).
- الأَمَدي، أبو القاسم، الحسن بن بشر، المؤلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1381هـ / 1961م).
- ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، 1380هـ / 1965م).
- الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الأبياري (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1976م).
- الأَسدي، بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الثقافة، ط2، 1392هـ / 1973م).
- الإسكندري، نصر، كتاب الأَمَكة والمياه والجيال، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: مركز الملك فيصل، ط1، 1425هـ / 2004م).
- الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين (القاهرة: مط النموذجية، 1950م).
- الإيادي، أبو دؤاد، شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الشعر العربي، تأليف: غوستاف فون غرونباوم، ترجمة: إحسان عباس وآخرون (بيروت: مكتبة الحياة، 1959م).
- الإدريسي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن إدريس، أحسن التقاسيم.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1409هـ / 1989م).
- الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، 1963م).
- ابن أحمر، عمرو الباهلي، شعر ابن أحمر، تحقيق: حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د-ت).
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1381هـ / 1962م).
- البحتري، أبو عيادة، الوليد بن عبيد، حماسة البحتري، تحقيق: لويس شيخو (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1387هـ / 1967م).

- ابن بطوطة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، 1405هـ / 1985م).
- البلادي عاتق، بن غيث، معجم معالم الحجاز (مكة المكرمة: دار مكة، 1398هـ).
- ابن بليهد، محمد بن عبد الله صحيح الأخبار (القاهرة: مطب السنة المحمدية، ط2، 1392 هـ / 1972م).
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، سمط اللآلئ، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مطب لجنة التألي والترجمة والنشر، 1354هـ / 1936م).
- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ / 1983م).
- البلاذري، أبا العباس، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع (بيروت: دار النشر للملايين، 1377هـ / 1957م).
- البوعينين، راشد سالم، الجبيل (الجبيل: مطابع الصناعات المساندة، ط1، 1994م).
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام (القاهرة: دار المعارف، ط3، 1972م).
- ابن ثابت، حسان، ديوان حسان، تحقيق: وليد عرفات (بيروت: دار صادر، 1974م).
- ابن ثور، حميد الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مطب دار الكتب، 1951م).
- الجاحظ، أبو عمرو، عثمان بن بحر، الحـيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مطب مصطفى الباوي الحلبي، 1363هـ / 1942م).
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مطب الفنية الحديثة، 1384هـ / 1964م).
- العثمانية (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1374هـ / 1955م).
- الجاسر، خليل عيـن، العرب، س17 (القعدة - الحجة، 1420هـ - سبتمبر - أكتوبر، 1982م).
- الجبوري، يحيى، قصائد جاهلية نادرة (بيروت: مطب الرسالة، ط1، 1402هـ / 1982م).
- جرير، بن عطية بن الخطمي، ديوان جرير، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: دار المعارف، 1977م).
- الجاسر، حمد، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ط1، 1399هـ / 1979م).
- ابن جنيد، سعد بن عبد الله، عالية نجد (القاهرة: مطب نهضة مصر، 1398هـ / 1978م).

- الحازمي، محمد بن موسى، الأماكن، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، 1415هـ).
- ابن حجر، امرؤ القيس الكندي، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، 1963م).
- ابن حكيم، الطرماح، ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن (دمشق: دار الشروق العربي، ط2، 1414هـ / 1994م).
- الحميري، يزيد بن مفرغ، ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (بيروت: مط الرسالة، ط2، 1402هـ / 1982م).
- الخالديان، أبو بكر، محمد، وأبو عثمان، سعيد، الأشباه والنظائر، تحقيق: السيد محمد يوسف (القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م).
- ابن خرداذبة، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، تحقيق: م-مج-ج-دي جوجه (بريل: مطبعة بريل، 1889م).
- أبو الخير، محمود بن عبد الله، (شعر حروب الردة بين التاريخ والفن)، الدارة، س15، ع2 (المحرم- ربيع الأول، 1410هـ / أغسطس- أكتوبر، 1989م).
- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة (بغداد: مكتبة المثنى، د-ت).
- الذبياني، الشماخ بن ضرار، ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، 1968م).
- ابن الدميني، عبد الله، ديوان ابن الدميني، تحقيق: أحمد راتب النفاخ (القاهرة: مط المدني، 1379هـ).
- الراعي، النميري، شعر الراعي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: مط المجمع العلمي العراقي، 1400هـ / 1980م).
- ابن ربيعة، لبید العامري، شرح ديوان لبید بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مط الحكومة، 1962م).
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ط1، 1402هـ / 1982م).
- الزبيدي، محمد مرتضى تاج العروس (القاهرة: مط الخيرية، ط1، 1306هـ).
- ابن زهير، كعب، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية، 1369هـ / 1950م).
- الزوزني، أبو عبيد الله، الحسين بن أحمد، شرح القصائد السبع (بيروت: دار الجيل، د-ت).

- أبو سعيد، الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مط المدني، 1384هـ / 1965م).
- السعيدان، حمد محمد، الموسوعة الكويتية المختصرة (الكويت: وكالة المطبوعات، ط2، 1981).
- ابن سلام، محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، 1952م).
- شباط، عبد الله بن أحمد، صفحات من تاريخ الأحساء (الخبر: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، 1409هـ / 1989م).
- الضامن، حاتم صالح، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ / 1987م).
- ابن الطفيل، عامر الفنوي، ديوان عامر بن الطفيل الفنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد (بيروت: دار الكتب الجديدة، ط1، 1968م).
- الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، مسائل من تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: دار الأصاله، ط1، 1413هـ / 1993م).
- العاني، عبد الرحمن بن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، 1421هـ / 2000م).
- العبادي، عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد (بغداد: دار الجمهورية، 1965م).
- العبودي، محمد بن ناصر، بلاد القصيم (الرياض: دار اليمامة، 1399هـ).
- العبيد، عبد الرحمن بن عبد الكريم، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية (الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ط1، 1413هـ / 1993م).
- العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار صادر، د - ت).
- العقيلي، محمد بن أحمد، مقاطعة جازان الرياض: دار اليمامة، 1389هـ / 1969م).
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1968م).
- العماري، فضل بن عمار، مجلة الواحة، ع62، س17 (صيف 2011م).

- الفحل، علقمة بن عبدة التميمي، ديوان علقمة الفحل، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب (حلب: مط الأصيل، 1969م).
- الفرزدق، همام بن غالب، ديوان الفرزدق، تحقيق: إسماعيل الصاوي (القاهرة: مط الصاوي، ط1، 1354هـ/ 1936م).
- القتالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي (القاهرة: مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957م).
- كثير عزة، ديوان كثير عزة، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، 1391هـ/ 1971م).
- الكلاعي، أبو الربيع، سليمان بن موسى، تاريخ الردة، اقتبس من الاكتفاء، خورشيد أحمد فاروق (دهلي: مؤسسة فيكاس الخاصة، 1980م).
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مط عيسى البابي الحلبي، د- ت).
- المخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: يحيى الجبوري (النجف: مط النعمان، 1392هـ/ 1972م).
- المرزباني، أبو عبد الله، محمد بن عمران، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي (بغداد: مط دار الرسالة للطباعة، 1396هـ/ 1976م).
- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، التنبيه والإشراف (لیدن: مط بريل، 1893م).
- المعري، أبو العلاء، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (القاهرة: دار المعارف، 1975م).
- ابن المقرب، علي العيوني، ديوان ابن مقرب، تحقيق: عبد الخالق عبد الجليل الجنوبي وآخرون (بيروت: المركز الثقافي للنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2003م).
- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: شاكرا العيبي (أبو ظبي: دار السويدي للنشر، ط1، 2003م).
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د- ت).
- ابن منبه، وهب، ضمن كتاب، وهب بن منبه، التيجان (الهند - حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1347هـ).
- ابن ميادة، الرّمّاح بن أبرد المرّي، شعر ابن ميّادة، تحقيق: حنا جميل حداد (دمشق: مط مجمع اللغة العربية، 1402هـ/ 1982م).

- النبهاني، محمد بن أحمد بن خليفة، التحفة النبهانية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 004م).
- النجم، عبدالرحمن عبدالكريم، البحرين في صدر الإسلام (بغداد: مط الجمهورية، 1973م).
- أبو نواس، الحسن بن الحكم، ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987م).
- الهجري، أبو علي، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر، (الرياض: شركة العبيكان، ط1، 1413هـ / 1992م).
- الهمداني، أبو محمد، الحسن بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكواع (الرياض: دار اليمامة، 1394هـ / 1974م).
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب الردة، تحق: يحيى الجبوري (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1410هـ / 1990م).
- وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي (القاهرة: مط الاستقامة، 1366هـ / 1947م).
- ياقوت، شهاب الدين، أبو عبد الله، بن عبد الله الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1399هـ / 1979م).
- Spencer, Trimingham, Christianity Among the Arabs, (MASHMAHIG) in Pre- Islamic Times (London: William Clows & Sons Ltd., 1979).

يتوجّه هذا الكتاب إلى كثير من المعطيات
الجغرافية القديمة والحديثة في الأحساء التي
تشكّل الجزء الأكبر من منطقة البحرين القديمة،
وتضمّ (أوال) و(البحرين الحديثة). وكانت (هجر)
عاصمتها، وما عدا البحرين الحديثة فهي الآن
جزء من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية
السعودية.

يعيد هذا الكتاب ترتيب المسائل فيما كان شائعاً
بين الدارسين للمنطقة ويصحح بعض الأخطاء
ليظهر الحقيقة على غير ما كانت تبدو.

